حرية الرأي في الإسلام

تأليف

د. محمد مورو

الناشر
دار الهدى للكتاب
كفر الشيخ – بيلا - شارع الجمهورية - بجوار المحكمة
الطبعة الأولى مايو ٢٠٠٧م


ألا بذكر الله تطمئن القلوب

اسم الكتاب : حـــريـــة الرأي في الإســـــلام .
المؤلــــــف : دكتور / محمــد مـــورو .
الغـــــلاف : حسين المجـــدوليـــة
كمبيوتر : مـــدحـــت الحلفـــاوى
رقم الإيداع : ٢٠٠٧/١٠٤٥٢
الترقيم الدولى : I.S.B.N : 977 - 6150 - 21 -7
الطبعة الأولى: مايو / ٢٠٠٧م
ربيع ثاني ١٤٢٨هـ

الناشر
دار الهدى للكتاب
كفر الشيخ – بيلا – شارع الجمهورية بجوار المحكمة
ت: ٠٤٧/٣٦٠٤٦٠١ ـــــ ٠٤٧/٣٦٠٩٦٠١

مقدمة

سؤال الإنسانية الدائم : ما هو النظام الذي يصلح للإنسانية وتسعد به، ويحقق لها حياة مستقرة هانئة .... وبديهي أن إجابة السؤال بالنسبة للمؤمنين بالله ... هو أن الله هو الذي خلق الإنسان، ويعلم ما يصلحه وما يفسده، ومن ثم فإن القواعد التي وضحها الله تعالى وأرشد بها الإنسان، هي التي تحقق ذلك الهدف. وبما أن الإسلام هو دين الله الحق، وبما أن الرسول ﷺ هو النبي الخاتم، فإن النظام الإسلامي وحده هو الذي يحقق ذلك، ولكن هذا في حد ذاته ليس حلا نهائيا، فالنظام الإسلامي يطبقه بشر، وثم فإنه مستوي ارتفاع هذا البشر إلى مستوي النظرية هو شرط تحقيق ذلك، وهذه الشرط بدوره موجودة في كل النظم، فالنظم كلها يطبقها بشر، ومن ثم فإن من الممكن أن يحسنوا التطبيق أو لا يحسنوه، سواء كان النظام المطبق رباني وضعي ونخلص من هذا أن النظام الوضعي والنظام الرباني يتساويان في شرط التطبيق، ولكن للنظام الرباني فضل لا شك فيه بالنسبة للنظرية .....

من زاوية أخري فإن الخبرات البشرية ذاتها ومن خلال تجارب وقعت في التاريخ القديم والحديث والمعاصر تقول أن النظم الوضعية فشلت في الأمرين معاً، في النظرية والتطبيق على حد سواء، بل لقد عانت البشرية معاناة هائلة بسبب تطبيق النظم الكسراوية والهرقلية، بل والديمقراطية والاشتراكية والفاشية والنازية والشيوعية، بل إن مستوي المعاناة كان بشعا، ففي ظل تلك الأنظمة وبالذات الديمقراطية منها حدثت إبادة لشعوب الأمريكتين وأستراليا وحدثت مذابح في معظم أرجاء العالم نفذها الرجل

الأبيض، ونشأت الصهيونية ثم دوله إسرائيل، وهى حاله تجسيم للظلم على مستوي اغتصاب حقوق شعب وأرض وعلى مستوي انتهاك حقوق الإنسان بصورة يومية وعلى مدار الساعة لعشرات السنين تحت سمع العالم وبصره، والديمقراطية هي التي استخدمت القنبلة الذرية في الحرب العالمية الثانية وهي التي مارست نهب العالم ، ولا تزال قوات الدول الديمقراطية تنتهك سيادة الشعوب في العراق وأفغانستان وفلسطين ....الخ أضف إلى ذلك إفساد البيئة واستنزاف ثروات الأرض....الخ

والمحصلة أن هناك شقاء لا شك فيه ترتب على تطبيق تلك النظم، شقاء جماعي ... أما في التطبيق الإسلامي فإن المسألة مختلفة، صحيح أنه هناك تجاوزات، ولكنها تجاوزات فردية لا ترقي إلى تشكيل ظاهرة، وهي مرفوضة طبعاً، أي أننا لو قارنا بين مستوي السعادة في ظل الحضارة الإسلامية ومستواها في الحضارات الأخرى وخاصة الغربية نجد أنه لصالح الحضارة الإسلامية بامتياز، ونحن هنا نتكلم عن الظاهرة في مجراها الرئيسي، أو في المحصلة النهائية، ونكرر أن هناك استثناءات ولكنها لا تخرق القاعدة، هناك استثناءات إيجابية في الحضارات الأخرى، وهناك استثناءات سلبية في التطبيق الحضاري الإسلامي ولكن تظل القاعدة هي نفسها وبديهي أن النظام الإسلامي به من الأتساع والمرونة ما يسمح بالاستفادة أيضا من الخبرات الإيجابية للتجارب الأخرى، وهذا لا يخالف الشرع الحنيف، بل هو فريضة أوجبتها الشريعة الإسلامية ذاتها، فالحكمة ضالة المؤمن أني وجدها فهو أحق بها.

الحديث عن الحرية في الإسلام، وحرية التعبير، ليس حديثاً عن النظام السياسي الإسلامي فقط، بل هو حديث يتصل بمنهج الإسلام ذاته، لأن الحرية في المنهج الإسلامي غاية ووسيلة في نفس الوقت، فلا إيمان بدون حرية، ولا إكراه على الإيمان ولا إكراه أيضا على الكفر، وبالنسبة لنا نحن المسلمين، فأننا نؤمن أن الإسلام في فطرة الناس، إذن لو تنافس الناس بحرية، لو لم يكن هناك قهر ولا عسف، لو لم يكن هناك تعصب مسبق لأي شيء لأصبح الإيمان سهل جدا، ولعل هذا واجب أمة الإسلام واجبها القضاء على الاستبداد السياسي والظلم الاقتصادي والتعصب، وإعطاء الناس حرية الاختيار، وفي تلك الحالة فإن الناس تختار الإسلام لأنه دين الفطرة، وحتى لو لم يختاروه فهم أحرار إذ لا إكراه في الدين، المهم أن أحد مهام الأمة الإسلامية هو تحقيق حرية الاختيار وإزالة كل العوائق التي تحول دون ذلك، ومن نافلة القول أن الجهاد في الإسلام في أحد أهدافه هو إزالة الأنظمة الاستبدادية التي تقهر الناس على الكفر، وتحقيق حرية الدعوة، فإذا تحققت حرية الدعوة بدون عقبات فلا داعي أصلاً للقتال.

وهكذا فالحرية هي في صميم المنهج الإسلامي من ناحية إقامة الحجة على الناس بتحقيق حرية الاختيار حتى يختار الناس الإسلام أو الكفر بحرية وحتى يتناقشوا ويتحاوروا بدون ضغوط.

الحرية أيضا ومن ثم حرية التعبير والتفكير تظهر في تصور الإسلام للإنسان، استخلافه في الأرض، ودورة فيها، حملة للأمانة ثم وجود نوازع للخير وللشر في نفسه، وهكذا فإن ذلك لا يتسق مع بعضه البعض بدون أن يكون ذلك الإنسان حرا. فلا معني لأن يكون الإنسان خليفة مسئول مكلف

بدون هذه الحرية بكل أنواعها على أن من المهم هنا أن نحدد أن الإنسان يتكون من كيان مادي وروح وعقل، والروح خارج إطار فهمنا، والكيان المادي خاضع لقوانين وسنن المادة التي جعلها الله عليها، ويبقي أن الحرية منوطة بالعقل الذي يتميز به الإنسان على سائر المخلوقات، فالإنسان مسير فيما يخص الجزء المادي من تكونين ولكنه مخير فيما هو متاح له من خير أو شر "ضمن مشيئة الله الكلية طبعا"، ويختار بين الخير والشر بعقلة ومن ثم فلا مسئولية على المجنون أو الصغير أو المكره وهو مسئول عن اختياره ويحاسب عليه يوم القيامة فضلا عن وجود الجزاء الدنيوي.

وهكذا فالحرية هنا شرط لازم لتكليف الإنسان وحملة للأمانة ومسئولية عن أعماله وأقواله.

وإذا كان ذلك شأن الإنسان حسب التصور الإسلامي، فإن النظام الإسلامي ككل يؤكد ويساعد ويحقق تلك الحرية، فنظام الشورى في الإسلام يحقق أوسع مناطق تلك الحرية، وكذا فإن النظام الاجتماعي الإسلامي يحقق الإشباع المادي لكل إنسان حتى لا تكون الحاجة حائلا دون حرية التفكير والتدبير، والنظام الاجتماعي الإسلامي بما فيه من تحقيق للعدل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، النقد والنقد الذاتي، طلب العلم كلها تحقيق تلك الحرية فالعلم مثلا يزيد مساحة الوعي ومن ثم القدرة على حرية التعبير، والعدل يجعل الإنسان آمنا إذا عبر عن رأيه، والنقد والنقد الذاتي هو في صميمة نوع من حرية الرأي واعتبار ذلك واجب على المسلم تجاه الأمام وتجاه المجتمع وتجاه أخيه المسلم والنظام الأخلاقي الإسلامي الذي يمنع شرب الخمر والزنا والشذوذ ولعب الميسر ....الخ كلها تقوي الإنسان

والمجتمع على أداء واجب حرية التعبير، بل حتى العبادات المباشرة كالصلاة هي نوع من الطاعة لله أولا ثم لتحقيق أهداف قوة النفس والبدن وعدم الخوف ألا من الله ومن ثم القدرة على إبداء الرأي دون خوف، وشهادة أن لا إله ألا الله ومن ثم الشجاعة في قول الحق والصيام، فمن لم يدع قول الزور والعمل به أي في المقابل أن يصر على قول الحق والعمل به، فلا حاجة لله في أن يدع طعامه وشرابه، والحج مثلا هو اجتماع لتبادل الرأي بين المسلمين كل عام، والزكاة هي نظام اجتماعي تحقق رفع الفقر والبطالة عن المجتمع ومن ثم يصبح غير خاضع في رأيه ألا للحق وليس لصاحب المال أو السلطان.....الخ

هناك أيضا محطات ومواقف كلها تدل على الحرية عموما وحرية التعبير خصوصا، وهناك وثائق تاريخية مثل وثيقة المدينة، أو خطب الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين وغيرها تشكل علامات مضيئة في تاريخ الحضارة الإسلامية وكلها تؤكد على حرية الرأي.

على أننا يجب أن نعترف بأن أحوال المسلمين ليست على ما يرام، وأنه غاب عنهم الكثير منن تلك القيم وأن من الواجب عليهم استعادتها ليس من أجل أنفسهم فقط، فلن يتقدموا ألا بها، ولكن أيضا من أجل تقديم نموذج حي للشعوب الأخرى، وتقديم بديل حضاري رائع للنظم السائدة حاليا في العالم، والتي جلبت الشقاء للإنسان، وإذا استمرت يمكن أن تقود البشرية إلى كارثة ومن ثم فإن التقدم بالمشروع الإسلامي واجب وضرورة لإنقاذ البشرية وهذا واجب كل الأمة عموما، والعلماء منها خصوصًا.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[1].

١- البقرة آية ١٤٣ .

للحرية في الإسلام، ومن ثم كافة أشكالها بما فيها حرية التعبير أصل منهجي، يرجع إلى التصور الإسلامي عن الإنسان، ودورة في هذا الكون ومسئولياته التي أسندها إليه تعالي.

فالله تعالي خلق الكون كله، وخلق الإنسان أيضاً، وأفضل صور الإنسان هي في عبوديته لله تعالي، وهذا جوهر الحرية، لأن العبودية لله تعالى تحرر تجاه كل ما هو سوي الله تعالي. وقد سخر الله تعالى الكون لخدمة الإنسان ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[1]، وجعل الله الإنسان خليفة له في الأرض، وهذا تكريم ما بعده تكريم،﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [2]، ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾[3]، وقد

١- لقمان آية ٢٠ .

٢- البقرة آية ٣٠ .

٣- هـــود آية ٦١ .

أختار الإنسان أن يحمل الأمانة وهذه الأمانة هي حرية الاختيار، أو المسئولية، أو الإيمان أو العقل على اختلاف التفسيرات﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [1]، وبداية فحمل الأمانة، واستخلاف الإنسان في الأرض، وتسخير الكون له تقابله مسئولية، فالإنسان مسئول أمام الله، فإذا أحسن وعمل فاز فوزًا عظيمًا وإذا أساء وعمل عملاً سيئًا خسر خسرانًا مبينًا ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾[2]، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[3]، والمسئولية حسب الطاقة طبعًا ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ

١- الأحـــزاب ٧٢ .

٢- الطور آية ٢١

٣- الزلزلة آية ٧ – ٨ .

لنا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[1].

وهو أيضًا ليس مسئول عن تصرفات غيرة ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [2] .

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [3]، وهكذا فالإنسان في التصور الإسلامي كائن عاقل مسئول مكلف، ويتحمل مسئولية اختياره وعملة، ومن ثم لا يمكن إسناد هذه المسئولية الخطيرة إليه دون أن يتاح له عقل يستطيع أن يميز به بين الخير والشر، وأن تكزن له حرية الاختيار بين مختلف المناهج والأعمال، وهكذا فالحرية تأتي في صميم المنهج الإسلامي، والإنسان ليس حرا في كل شيء طبعا بل هو حر فيما هو مسئول عنه ومكلف به، وهذا كله بالطبع في أطار مشيئة الله تعالى، ويمكن القول أن الله تعالى أراد أن يكون للإنسان إرادة.

١- البقة آية ٢٨٦ .

٢- البقرة آية ١٣٤ .

٣- الأنعام ١٦٤

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۞ ﴾[1] .

في إطار المشيئة الآلهة أيضا، جعل الله التفكير فريضة إسلامية أي جعل المعرفة بالنسبة للإنسان تكون عن طريق استخدام العقل أو يكون استخدام العقل أحد طرق الوصول أليها، وبدية أن هناك طرق أخري للوصول إلى الهدية والحق، الطريق الوجداني وهو لا يقل أهمية، وطريق الفطرة، وهذه تحتاج إلى إلغاء كل القيود والحواجز على الإنسان لتعمل فطرته بصورة سليمة ، أنها أشبه بالسير في الطريق الصحيح، ولكن القوي الشيطانية تضع علامات مزيفة لتفسد على الإنسان فطرته وتقوده إلى الطريق الخطأ، وهذه العلامات المزيفة مثل الاستبداد السياسي والظلم الاقتصادي الأعلام الفاسد ....الخ

ويجب أزالتها لتحقيق حرية الاختيار عن طريق العقل، أو عن طريق الفطرة والوجدان....

المهم أن التفكير فريضة إسلامية فرضها الله على الإنسان وأعطاه العقل الملائم ليقوم بها، ومن ثم يصل إلى المعرفة عن طريق العقل، وصمم الكون بطريقة معينة بحيث أن فيه من الآيات والتدبير ما يقود الإنسان إلى الحق ، والنصوص التي تدعو إلى أعمال العقل في القرآن الكريم كثيرة جدا، ويستخدم الله لفظ العقل ومرادفاته الكثيرة في تلك الآيات وكثير أيضا من الآيات تنتهي

١- الشمس آية ٧ – ١٠ .

بمثل أفلا يعقلون؟ أفلا يتفكرون؟ أفلا يتدبرون؟ أليس فيكم رجل رشيد؟ أفلا تتذكرون؟.

وهناك دعوة أيضا للسير في الأرض والاتعاظ بما حدث في التاريخ ومعرفة السنن الكونية في مختلف العلوم [1] ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩ ﴾ [٢].

---

١ – تحدث القرآن الكريم عن الحكمة في ١٩ آية، وعن العقل في ٤٩ آية وعن اللب أحد مرادفات كلمة العقل. في ١٦ آية وعن النهي – أحد مرادفات العقل أيضا – في آيتين، وكذا عن التفكير والتدبير والعقل أو عن الآيات التي ترشد الإنسان والآيات التي تتحدث عن النظر قد تكررت أكثر من ٥٠ مرة في القرآن الكريم.

٢- الرعد١٩ .

التوحيد

التوحيد هو الحقيقة الكبرى في هذا الكون، وهو المقوم الأول للعقيدة الإسلامية، والتوحيد هو الرسالة الجوهرية التي جاء من أجلها جميع الأنبياء من لدن آدم وحتى محمد صلي الله عليه وسلم﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [١] .

وقد تعرضت عقيدة التوحيد- في حياة الأمم السابقة من أهل الكتاب- إلى الكثير من التحريف والخلط، إلا أن الله تعالى حفظ للإسلام والمسلمين باعتباره خاتم الأديان، وباعتبار محمد ﷺ آخر الأنبياء، وباعتبار القرآن الكريم آخر الكتب السماوية، حفظ له القرآن من التحريف، وأصول العقيدة من التشويش﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [٢] .

وهكذا فإن التوحيد هو أهم ما يميز أمة الإسلام عن غيرها من الأمم.

والتوحيد بالطبع شرط لصحة العقيدة والنجاة في الآخرة وهو أيضاً دافع مهم من دوافع الإبداع الحضاري وتحقيق العمران في الأرض، وكذا لتحقيــق كل أشكال الحرية ، وللتوحيد أثار مهمة على الصعيد الحضـــاري، ذلــك أن انفراد الله تعالى بالألوهية والربوبية، وإدراك أن جميع البشر عباد لله يعنـــي بالتالي ضرب مفاهيم الطبقية والعرفية الاقتصـــادية والسياســـية والجنســـية واللونية، وليس هناك فرد أو طبقة أو جماعة بشرية أفضل من غيرها أو أحق بالثروة أو السلطة، والتفاضل لا يكون إلا بالتقوى.

---

١ - الأنبياء آية ٢٥ .

٢- الحجر آية ٩ .

والتوحيد أيضاً يمنع احتكار الدين لطبقة، أو المتاجرة به من قبل رجال الدين المنحرفين، أو ممارسة الاستبداد السياسي أو الاستئثار بالثروة، بدعوى أن هذا أو ذاك هو ظل الله على الأرض، أو المتحدث باسمه أو شعب الله المختار، فالله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وجميع الناس عباد لله.

ولقد حرص الإسلام على إدماج التشريع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، حتى يكون الله وحده مصدر التشريع وبالتالي لا يستغل فرد أو طبقة أو مجموعة سلطتها في سن التشريعات التي تكرس سلطتها السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ومهمة أمة الإسلام الأولى هي إخراج العباد من عبادة العباد بأي صورة من الصور إلى عبادة الله الواحد القهار.

وللتوحيد أهمية خاصة في المشروع الحضاري الإسلامي ذلك أن العمران البشري، كالعبادة، مرتبط بغاية هي إرضاء الله تعالى، ومرتبط بأسلوب هو الأسلوب الذي وصفه الله تعالى في تشريعه المحكم، وهذا أولاً يحقق أوسع الحريات، وأسلم وسائل العلاقات الإنسانية، بين الإنسان والكائنات والطبيعة في تناغم وتناسق يحفظ للأرض وللكون أمانه في الحاضر والمستقبل، وفضلاً عن هذا فإن مقتضى التوحيد يعني الخضوع لله تعالى في ممارسة العمران البشري كوسائل وغايات، أي الخضوع لشريعة الله في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والعلاقات الدولية.. إلخ، وهذا بالطبع يحقق أفضل الفرص للإبداع الحضاري وأكثرها أمانا وعدلا وجدوى، ذلك أنه مهما أوتي فرد أو جماعة بشرية من العلم فإنها لا تحيط

بأسرار الإنسان والكون وبالتالي لا تستطيع أن تضع التشـــريعات الصــــالحة للعلاقات بين البشر أو بين البشر والكون والكائنات فضلاً عن حـــرص هــذا الفرد أو الجماعة البشرية على تحقيق مصالحها الخاصة دون الباقين، أما الله تعالى إله الناس جميعاً رب الناس جميعاً وخالق كل شيء، العالم بكل شـــيء فهو وحده القادر على وضع التشريع المناسب لكل البشر والكائنات والكـــون بدون تحيز وبعلم وشمول وإدراك مطلق.

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[1] .

وللتوحيد أيضاً أهميته في إطلاق طاقات الإنسان التي أودعها الله فيـــه، لأن الإنسان الموحد يسير في اتجاه الفطرة، وبالتالي يـــوفر الوقـــت والجهـــد المترتب على الصراع مع الفطرة، والأمر أشبه بسرعة ســـفينة ذات كفـــاءة ميكانيكية معينة تسير في اتجاه التيار أو في عكس هذا الاتجاه، وبالطبع فإنها في الحالة الأولى تحقق سرعة أكبر وإنجازاً أكثر.

والإنسان الموحد يؤمن بأن الله هو أقوى الأقوياء، فلا يخاف غيره، وهو الرازق فلا يلتمس الرزق من غيره وهو المعز المذل وبيده مقاليد كل شـــيء وبالتالي يستطيع أن يواجه أعتى القوى معتمداً على الله تعالى، وهذا يجعـــل الأمة الموحدة أكثر إنجازاً وأقدر على خوض كل التحديات وبالتـــالي يكـــون للتوحيد الأثر الجبار في التقدم الحضاري والعمران البشري، وهكذا فالتوحيـــد هو العنصر الأهم في المشروع الحضاري الإسلامي، إذ لو قارنا بين جماعة بشرية تدرك أن عملها الحضاري مرتبط بالله في الغايات والوسائل ووجـــدت

١- القلم آية ١٤ .

أمامها تحدياً أكبر من طاقتها، فإنها لا تفر أمامه بل تأخذ بالأسباب وتشحذ طاقاتها ثم تتقدم معتمدة على مدد الله وبالتالي تستطيع أن تصنع المستحيل، أما الجماعة البشرية التي لا تؤمن بمدد الله، أي تؤمن بالأسباب وحدها فإن الحسابات المادية المجردة قد تجعلها تفر من أمام التحديات التي تراها بالحسابات المادية أكبر من طاقتها المادية.

كرامة الإنسان ـ الحرية:

تمثل الحرية القيمة الأعظم- بعد التوحيد- بالنسبة للمشروع الإسلامي في مستواه العام والخاص، وتمثل القيمة الأعظم على الإطلاق بالنسبة للمشروع الحضاري العام، أي فيما يخص المسلمين وغير المسلمين.

ذلك أن رسالة الإسلام تستهدف تحرير الإنسان في كل زمان ومكان، وتستهدف تحقيق الحرية للبشر كل البشر، وحتى الجهاد في الإسلام موجه أساساً لرفع الظلم والإكراه ووضع البشر كل البشر على قاعدة الاختيار الحر بلا إكراه ولا تعصب ولا ظلم،﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[1] .

١- البقرة آية ٢٥٦ .

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾[1] .

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾[2] .

فالإكراه مرفوض إسلامياً، حتى ولو كان إكراه على الإسلام لأنه في هذه الحالة يكون حراماً ولا يرضى به الله ويحاسب من يقترفه، والفرق بين الإسلام والوثنية في أحد صوره هو الفرق بين الحرية والإكراه، ذلك أن الوثنية والكفر لا تتحقق إلا بالإكراه والخداع، والإسلام لا يتحقق إلا بالحرية والاختيار الحر.

الإسلام يحرص على حرية التفكير، حرية الاختيار "اختيار العقيدة والمذهب والتصور"- حرية اختيار شكل النظام السياسي وحرية اختيار الحكام بكافة درجاتهم وحرية تغيير الحاكم، حرية التنقل، حرية إقامة الشعائر، حرية الحوار، وحرية تبادل الرأي، ويرفض التعصب والاستبداد السياسي والقهر الطائفي والديني والقومي والعرقي.

أما الكفر فيحرص على القهر والنهب والظلم والاستبداد والقوى الشيطانية تحرص على الحيلولة دون حرية الاختيار وتحرص على وضع

١- الكهف آية ٢٩ .

٢- يونس آية ٩٩ .

علامات إرشادية مزيفة على الطريق وتحرص على نشر التعصب، وتحرص على إلغاء حرية التفكير بكل صورة ووسيلة، وتحرص على نشر الجهل والخرافة والتعصب للآباء والأجداد والأسرة والقبيلة والوطن والقومية.. إلخ. ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [1].

والقرآن الكريم يطلق على هذا السلوك الشيطاني كلمة "المكر" وكلمة المكر تعني أصلاً الخداع والقهر واستخدام الوسائل المختلفة لإكراه الناس على العقيدة والتصور الذي تريده القوى الشيطانية، ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [2]، ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [3] وهذه الآية على لسان فرعون.

وصحيح أن الناس تصل إلى الإسلام وتعتنقه بمجرد تحقيق حرية التفكير والحوار والاختيار الحر، لأن الإسلام دين الفطرة، والعقل والكون

١- سبأ آية ٣٣ .

٢- الأعراف ١٢٣ .

٣- غافر آية ٢٩ .

والوجدان، والقلب يقود إليه، ولكن حتى بصرف النظر عن هذا فإن أمة الإسلام مطالبة بتحقيق الحرية للبشر كل البشر بصرف النظر عن النتيجة، إذ أن تحقيق الحرية غاية في ذاتها ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[1] أي فقاتلوهم حتى يكفوا عن إكراه الناس على الكفر فإن كفوا عن هذا فلا مشكلة، فقاتلوهم حتى يكفوا عن فتنة الناس بالقهر والظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي فإن كفوا فلا عدوان إلا على الظالمين.

المسلم والجماعة المسلمة والأمة المسلمة مأمورون بالجهاد لتحقيق حرية الاختيار "لا إكراه في الدين"، ولتحقيق حرية التنقل "قل سيروا في الأرض إذ كيف يسير الناس في الأرض بدون حرية التنقل وبالجهاد ضد التعصب وضد الجهل والخرافة، ضد الاستبداد السياسي "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر" صحيح حققه الألباني، والتفكير فريضة إسلامية، والله تعالى يدعو الناس إلى التفكير في عشرات الآيات القرآنية "أفلا يتفكرون.." "أفلا يتدبرون.." "أفلا يعقلون.." إلخ.

الدفاع عن الحرية فريضة إسلامية، وتحقيق الحرية بكل صورها وأشكالها مهمة المسلم والجماعة الإسلامية والأمة الإسلامية، بل إن المهمة الأولى لنا هي الدفاع عن حرية الشعوب والطوائف والأقليات والأفراد على حد سواء، حرية الناس في الاختيار على مستوى العقيدة، وعلى مستوى النظام السياسي والاجتماعي وعلى حقهم في اختيار طريقة وأسلوب الحكم وحق

١- الأنفال آية ٣٩ .

اختيار وعزل الحكام وعمر بن الخطاب يقول "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً".

وأبو بكر هو القائل "إن وجدتموني على حق فأعينوني وإن وجـدتموني على باطل فقوموني" والتقويم يعني حرية النقد وحرية خلع الحاكم أيضاً.

ومن مهام المشروع الحضاري الإسلامي تحقيق الكرامة للإنسان أي إنسان في أي زمان ومكان فلا قهر ولا تعذيب ولا تمثيل ولا انتهاك لهذه الكرامة بأي صورة من الصور، والأصل الإسلامي لحقوق الإنسان هو أفضل أشكال هذه الحقوق، لأنه ينطلق من أن كل البشر عبيد لله تعالى ومتساوون أمامه، فلا حق لبشر أن ينتهك كرامة بشر آخر ولا حق لجماعة بشرية ولا طائفة ولا دولة أن تنتهك حقوق الآخرين. وقد حرص الإسلام أيما حرص على صيانة حرمات الناس ولا يؤخذ الناس بالشبهات﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا ......" صحيح تخريج السيوطي حققه الألباني "لا تضايقوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عوراتهم يتبع الله عورته.." "إذا ابتغى الأمير الريبة في الناس أفسدهم".

١- الحجرات آية ١٢ .

والشريعة الإسلامية تجيز فقء عين من يطلع على إلى أسرار الناس "لو أن امرؤا اطلع عليك بغير إذن فقذفته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح" والقرآن الكريم يؤكد حرمة البيوت﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1] .

وحتى احترام طمأنينة الآخرين هي فريضة إسلامية "فلا يحل لمسلم أن يروع مسلماً".

الله تعالى كرم الإنسان، وجعله خليفة له في الأرض ونفخ فيه من روحه، وهذا المستوى العظيم الذي وضع الله الإنسان فيه- باعتباره خليفة له في الأرض وباعتباره كائناً فيه من روح الله، وباعتباره أكرم الكائنات تضع الأساس النظري والعملي لأفضل وأوسع الحقوق لصيانة كرامة الإنسان وحقوقه في نفسه وأهله وبيته وخصوصياته لأن الذي يعتدي على شيء من ذلك، أو ينتهك حقوق الإنسان فإنما هو يعتدي على أكرم المخلوقات أي على خليفة الله في الأرض، على كائن فيه من روح الله، والله تعالى جعل الملائكة تسجد للإنسان "" ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾[2] .

١- النور آية ٢٧ .

٢- الأعراف آية ١١ .

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (1) .

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (2) .

1- الإسراء آية ٧٠ .

2- البقرة آية ٣٠ .

الانتصار للمظلومين فريضة إسلامية

الإسلام يحض المظلومين على عدم السكوت للظلم:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [1] .

ويحض المظلومين على الدفاع عن أنفسهم:

" ما من مسلم يظلم مظلمة فيقاتل فيقتل إلا قتل شهيدا".حديث صحيح تخريج السيوطي

ويحض على التصدي للظالمين:

" من رأى سلطانًا جائرًا مستحلاً لحُرَم الله ناكثًا لعهد الله مخالفًا لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل أو بقول كان على الله أن يدخله مدخله ".

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرية إسلامية وهل يوجد منكر أكبر من الظلم

الإسلام يأمر بالانتصار للمظلومين والدفاع عنهم:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ

١- النساء ٩٧ .

بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ [١].

وقال رسول الله ﷺ:

" ما من مسلم يخذل مسلمًا في موضع تهتك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته، وما من امرئ مسلم ينصر مسلمًا في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في مواطن يحب فيها نصرته ".

كما قال :

" لا يقفن أحدكم موقفًا يقتل فيه رجل ظلمًا فإن اللعنة تنزل على كل من حضر حين لم يدفعوا عنه، ولا يقفن أحدكم موقفًا يضرب فيه رجل ظلمًا فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه ".

الدفاع عن المظلومين فريضة إسلامية، المظلومين سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً، فرداً أو جماعة أو أمة أو طائفة وفي عالم يسوده الاستكبار وتمارس دولاً وحكومات وجماعات بشرية وأفراداً الظلم على الآخرين، فإن الدفاع عن المظلومين يصبح رقماً مهماً في معادلة المشروع الحضاري الإسلامي، والله تعالى شرع الجهاد وفرضه على المسلمين للدفاع عن المظلومين مسلمين أو غير مسلمين، في كل زمان ومكان ورفع الظلم عن

١- الشورى آية ٣٩ - ٤٢ .

البشر أياً كان دينهم أو جنسهم أو لونه. ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [1].

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾[2] .

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [3]، وفيما يرويه الرسول صلي الله عليه وسلم عن رب العزة "وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم فـي عاجلـة أو آجله، وأنتقمن ممن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره فلم يفعل".

ويقول "ما من مسلم يخذل مسلماً في موضع تهتك فيه حرمته وينتقص فيـه من عرضه إلا خذله الله في موضع يجب فيه نصرته، وما من امرئ مسلم ينصـر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في مواطن يجب فيها نصرته".

ويقول "من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسـنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل أو بقول كان على الله أن يدخله مدخله".

ويقول "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشـك أن يعمهـم الله بعقاب منه"

١- البقرة آية ١٩٣ .

٢ - النساء آية ٧٥ .

٣- الشورى آية ٣٩ .

حرية التعبير

الفريضة والآداب

حرية التعبير فريضة على الحاكم والمحكوم معاً، فالحاكم مطالب بتنفيذها عن طريق الشورى، وعن طريق تحقيق العدل والنظام القضائي المستقل، ونشر التعليم، وتحقيق الاكتفاء الاقتصادي وغيرها من الوسائل التي تجعلها ممكنة بحيث لا تخاف الرعية من ظلم أو فقر أو تهميش إذا مارستها، والمحكوم مطالب بها فردا وجماعات في كل المجالات تجاه الحاكم وتجاه الآخرين، وبدون حرية التعبير وكل ما يؤدي إليها يحدث خلل في المجتمع الإسلامي، فالمسلم مطالب بعدم كتمان الشهادة السياسية والاجتماعية والقضائية على حد سوء ﴿ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَـٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ [1] .

والنصيحة فريضة إسلامية لله ورسوله وللإمام ولعامة المسلمين وخاصتهم، والتواصي بالحق مثلا فريضة إسلامية لا بد أن يقوم بها الفرد والجماعات تجاه بعضها بعضا،﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا

١- البقرة آية ٢٨٣ .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[1]، ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾ [2]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾[3].

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [4] .

بل إن خيرية هذه الأمة ترتبط بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا لا يتحقق في جزء كبير منه إلا بحرية التفكير ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ

١- سورة العصر .

٢- البلد ١٢ – ١٧ .

٣- المائدة آية ٢ .

٤- آل عمران آية ١٠٤ .

ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [1]، ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [2] .

بل أن الله تعالى فرض قيام مجموعة من الناس "نفر من كل طائفة" ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذ ارجعوا إليهم وهذا بداية لا يتحقق ألا بالتعليم وبحرية التعليم معاً ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [3] .

ومن الواجب الاستماع إلى الحكمة أو الموقف الصحيح وفي الحديث الشريف " **إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك الله أن يعمهم بعقابه**" تخريج السيوطي في الجامع الصغير حققه الألباني وقال حديث صحيح وعمر بن الخطاب القائل "رحم الله امرؤ أهدي إلى عيوبي" وهو الذي يحمد الله تعالي أن يكون في أمة الإسلام من يقوم الخليفة إذا رأي منه اعوجاجا، ويستمع إلى امرأة تخطأ رأيه في المهور مسترجعا قائلاً "كل الناس أفقه منك يا عمر" وعمر بن الخطاب نفسه أستمع إلي نقد الرجل وهو على المنبر أي

١- آل عمران آية ١١٠ .

٢ - المائدة آية ٧٨ – ٧٩ .

٣ - التوبة آية ١٢٢ .

أمام جمع من الناس عندما قال لهم أسمعوا وأطيعوا فقال له الرجل أنك وزعت القماش علينا وأخذت منه نصيبا اكبر، لأنك رجل طويل لا يكفي نصيبك من القماش لعمل هذا الثوب الذي ترتدي، فطلب عمر من أبنه أن يقوم ويشهد أنه أعطي أباه نصيبه فضم النصبين على بعضهما بعضا فكان هذا الثوب عندئذ جلس الرجل وقال الآن نسمع ونطيع، وكان عمر رضي الله عنه يستشير حتى الكفار في الأمور التي هم خبراء فيها فقد استشار الهرمزان في الحرب الفارسية وكان عمر أيضا لا يقصر مشورته على الشيوخ بل يلجأ إلى الشباب ويستشيرهم كما روي يوسف بن الماجشون " فكان إذا أعياه الأمر دعاهم فاستشارهم لحدة عقولهم.وكان أسلوبه حين يريد اختيار أحد الولاة أن يذكر الشرط ويترك للسامعين الاختيار.

وهكذا فإن حرية التعبير فريضة إسلامية على الحاكم والمحكوم معاً ولكن لها آدابها التي لا تصلح بغيرها، وفي الحقيقة فإن كل الفرائض الإسلامية أيضا لها آدابها، وليس هذا انفراد بتلك الآداب بالنسبة لحرية التعبير، ومن تلك الآداب أن تكون حرية التعبير والنصيحة تستهدف صالح المجتمع وإلا تكون لأغراض مريبة، وألا تحدث فتنة حتى ولو كانت نصيحة صحيحة، فالمحافظة على الاستقرار ووحدة الجماعة فريضة أكبر، وهنا لا بد من الموازنة وحساب المصالح والمفاسد، ولا بد أن تكون طريقة النصح وممارسة حرية التعبير فيها سماحة، وألا تكشف عورة لفرد أو جماعة، وألا تنتهك حقوق الآخرين، وعلى أن تكون في إطار التراحم، تراحم الكبير بالصغير وتوقير الصغير الكبير، وألا تكون حقًا يراد به باطل.

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾[1]، ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[2]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾[3] .

فإذا أراد إنسان أن ينهي إنسان آخر عن عمل حرام فلا يحق له أن يدخل بيته مثلا دون استئذانه ليقوم بذلك ولا ينظر داخل البيت أو يسترق السمع عليه فيعرف أنه يشرب خمرا مثلا، فيأمره وينهاه، ولعل في قصة عمر بن الخطاب عندما استرق السمع ونظر ودخل بيت أحد الرعية دون استئذانه،

١- لقمان آية ١٨ .

٢- النحل آية ١٢٥ .

٣ - الحجرات آية ١١ - ١٢.

وأراد أن يعاقبه على شرب الخمر، فقال الرجل إنني فعلت حراما واحد، وأنت ارتكبت عدة محرمات، فتراجع عمر وأقر الرجل على صحة كلامه.

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [1] .

﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [2] .

ولعل من أهم آداب حرية التعبير، ألا يشتد الإنسان على الآخرين في غير فريضة واجبة، وألا يعتقد نفسه على صواب دائما، فيلزم الآخرين بإتباع رأيه أو اجتهاد اجتهده سواء كان صوابا أم خطأ، طالما أنه ليس معلوما من الدين بالضرورة، ومن الآداب أيضا ألا يفتي الإنسان بغير علم ولا تخصص دقيق، أو يجعل من نفسه معيارا للصواب أو الخطأ.

١- الأعراف آية ١٩٩ .

٢- النساء آية ١١٤ .

المنظومة الإسلامية السياسية
والاقتصادية والاجتماعية

المنظومة الإسلامية السياسية والاقتصادية والاجتماعية منظومة كلها خير، ذلك أنها من عند الله تعالى الذي يعلم ما يصلح الإنسان والجماعة الإنسانية وما يفسرهما﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [1]، وهي تحتوي على مساحات محددة فيها تشريع واضح ومحدد ومساحات أخرى متروكة تلاحقها والبشرى في إطار المنهج الإسلامي ومن خلال النصوص ذاتها والتصورات الإسلامية ومن خلال التطبيق ثبت أنها أفضل منظومة عرفتها البشرية في كل تاريخها الاجتماعي، وهي صالحة إن شاء الله للتطبيق في كل زمان ومكان، وهي القادرة في عالمنا المعاصر على إنقاذ البشرية من التخبط والتيه والشقاء والمعاناة .

المنظومة الاجتماعية الإسلامية:

وهذه المنظومة شديدة الاتساع، ولا يمكن الإحاطة بها، وكلها تؤدي إلى حرية الرأي وتجعله فريضة على الجميع، على الحكام ألا يعطلوها، وعلى الرعية أن تؤديها مع الحاكم ومع الأمراء ومع بعضهم البعض، وبديهي أن هذه المنظومة تشمل النظام الأخلاقي الذي يؤدي بالضرورة إلى رقي الفرد ومسئوليته ومن ثم قدرته على الإدلاء برأيه، وتشمل العدل ونظام القضاء، فبدون العدل ونظام قضائي مستقل يكون من الصعب ممارسة حرية الرأي

١- الملك آية ١٤ .

وفي هذا الصدد فإن كتمان الشهادة إثم كبير﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَـٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾[1]، والشهادة هنا تشمل كل الأنواع ، الشهادة على الشئون العامة وعلى الشئون الخاصة، في السياسية والاجتماع والقضاء وكل شيء وتحذير الرسول صلي الله عليه وسلم من شهادة الزور، هي دعوة لقول الحق، والشجاعة في إبداء ذلك الحق،وفي خطبة الصديق بعد توليته الخلافة ما يدل دلالة قاطعة على ضرورة حرية الرأي وعلى فرضيتها " إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، فإن استقمت فاتبعوني، وإن زغت فقوموني"، المنظومة الاجتماعية تشمل أيضا الدعوة إلى العلم، والمسئولية عن المستقبل وحماية الأقليات ....الخ ... وكلها تقود إلى فرد ومجتمع قادرين على أداء أمانة حرية التعبير.

العـــــدل

العدل قيمة كبرى من قيم المشروع الإسلامي في مستواه العام، أي فيما يخص المسلمين وغير المسلمين، وعلينا أن نبشر بالعدل ونأمر به ونأخذ بـــه أنفسنا ونأخذ به الآخرين ونجاهد من أجل فرض العدل وتحقيقه في كل مكان ونصرة المظلوم أياً كان وفي أي مكان كان.

١- البقرة ٢٨٣ .

يجب أن نكون عادلين مع أنفسنا ومع الآخرين، عادلين في كل شيء في الممارسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية على حد سواء، ويجب توخي العدالة في المنازعات القانونية المحلية والدولية، بين الأفراد وبين الجماعات وبين الأمم على حد سواء، يجب توخي العدالة وذلك بعدم ازدواج المعايير القانونية، فما يطبق على الشريف يطبق على الضعيف وما يطبق على الحاكم يطبق على المحكوم، وما يطبق على الأصدقاء والأحباء يطبق على الأعداء والمكروهين، وما يطبق على الغني يطبق على الفقير.

يقول الله تعالى:﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[1]، ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2] ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[3]، ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا ٱلَّتِى تَبْغِى

١- النساء آية ٥٨ .

٢ النحل آية ٧٦ .

٣- النحل آية ٩٠ .

حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [1] .

والله تعالى يتوعد الظالمين ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [2]، ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[3] ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[4] .

وفي الحديث القدسي "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما..." حديث صحيح.

"إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة..." حديث صحيح.

ومن الأقوال المأثورة "إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة".

"الظلم يجلب النقم ويسلب النعم".

"لا يكون العمران حيث يجور السلطان".

---

[1]- الحجرات آية ٩ .

٢ - الشورى آية ٤٢ .

٣ - آل عمران آية ٥٧ .

٤ - آل عمران آية ٨٦ .

عدم ازدواج المعايير:

ومن أهم مقومات العدل في الإسلام وجود معايير واحدة تنطبق على الجميع بدون استثناء، على من نحب ومن نكره﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [1].

على الأقربين والأبعدين، بل على أنفسنا ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾ ﴾[2] .

على الشريف والضعيف "إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف قطعوه، وأيم الله لو أن فاطمة بنتي سرقت لقطعت يدها".

على القوي والضعيف فأبو بكر الصديق رضي الله عنه هو القائل "القوي منكم ضعيف حتى آخذ الحق منه والضعيف قوي حتى آخذ الحق له".

ويروي التاريخ الإسلامي أن أميراً من أمراء الغساسنة كان يطوف بالبيت في عهد عمر بن الخطاب فوطئ إزاره شاب من قراره فلطمه الغساني

١- المائدة آية ٨ .

٢ - النساء آية ١٣٥

لطمة جدعت أنفه، فذهب الشاب إلى الخليفة عمر بن الخطاب وشكا إليه، فقال عمر للغساني له القصاص أو يعفو عنك، قال كيف وأنا أمير وهو سوقه؟ فقال عمر لقد سوى الإسلام بينكما فلا تفاضل إلا بالتقوى فأخذ الأمير يسترضي الشاب الأعرابي، فلم يرض إلا أن يلطمه كما لطمه، وعلم الأمير أن الخليفة عمر سيمكن هذا الأعرابي من القصاص لا محالة ففر إلى الروم مرتداً عن الإسلام، فما اهتم عمر بذلك، فإنه خير للإسلام أن يخرج منه أمير على أن يمارس ازدواج المعايير.

وعندما ضرب ابن حاكم مصر أي ابن "عمرو بن العاص" عندما ضرب القبطي المصري، أمر عمر بن الخطاب خليفة المسلمين عندما وصل إليه الأمر- أن يضرب القبطي المصري ابن حاكم مصر بنفس الطريقة قصاصاً له وقال قولته المشهورة اضربه كما ضربك اضرب ابن الأكرمين".

والرسول ﷺ لم يستنكف أن يضع نفسه موضع القصاص وعرض نفسه للناس ليأخذوا حقوقهم منه حيث صعد المنبر قبيل وفاته قائلاً ما معناه "أيها الناس من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري.. ومن كنت أخذت منه مالاً فهذا.. ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي.."الحديث.

وعمر بن الخطاب يعطي الدرة للرجل ليضربه كما ضربه عندما اكتشف عمر بن الخطاب أنه ضربه بغير حق، ولكن الرجل يمتنع فيقول له اعف عنى فيقول الأعرابي ولا أعفو حتى أن عمر بات ليلته مغتماً، فلما رآه الأعرابي في اليوم التالي وجد أثر الألم والهم على وجهه، فقال الأعرابي لعمر بن الخطاب لعل هذا لما كان بالأمس، فقال عمر الخليفة العادل نعم فقال الأعرابي الآن عفوت عنك.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر قضاته بالتسوية بين الخصوم في المجلس والنظر والإشارة والإقبال وقال في كتابه إلى أبي موسى الأشعري "سو بين الخصمين في مجلسك وإشارتك وإقبالك، حتى لا ييأس ضعيف من عدلك، ولا يطمع قوي في ضعفك".

ويروى أن أبا موسى الأشعري ضرب بعض رعيته أسواطاً وعلم ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأرسل عمر إلى أبي موسى الأشعري، يقول له لقد عزمت عليك إن كنت ضربته في ملأ من الناس فليضربك بينهم، فلما حضر الرجل، وضع أبو موسى الأشعري نفسه في موضع الاستعداد لتلقي الضرب بالسوط، فعفا الرجل عنه.

ويروى أيضاً أن عمرو بن العاص قال لأحد الرجال يا منافق وكان ذلك في المسجد، فذهب الرجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له "لقد نفقني الأمير– وكان عمرو بن العاص أميراً – وما نافقت منذ أن أسلمت، فأرسل عمر إلى "عمرو" وقال له إن كنت نفقته في ملأ، فليضربك كذا سوط، فذهب الرجل إلى المسجد وقال من منكم سمع الأمير ينفقني، قالوا كلنا سمعه، فقرأ عليهم الكتاب فقال البعض "أو تضرب الأمير؟! وصاحوا فيه مستنكرين ذلك، فقال الرجل ليس لأمير المؤمنين هنا طاعة، فقدم عمرو بن العاص نفسه إلى الرجل ليضربه، فقال الرجل الآن عفوت.

ووصل أمر العدل وعدم ازدواج المعايير "أن المسلمين كانوا قد دخلوا بلداً يدعي صفد في إقليم سمرقند واشتكى أهل البلد إلى عمر بن عبد العزيز خليفة المسلمين أن القائد الإسلامي قتيبة بن مسلم قد دخل ديارهم من غير أن يتبع معهم سنة الإسلام في تخييرهم بين الإسلام أو الجزية أو الحرب، بل

قاتلهم قبل أن يعرض عليهم هذه الخيارات، وحول الخليفة هذه الشكوى إلى القاضي، فدرس القاضي الموضوع وتبين صدق الشكوى، فأمر الجند بالخروج من الديار التي دخلوها، ونفذ الجند الأمر، وتركوا مدينة صفد امتثالاً للعدالة الإسلامية التي لا تعرف ازدواج المعايير.

وهكذا تعكس نصوص الإسلام العدل وعدم ازدواج المعايير كأروع ما يكون، وتعكسها أيضاً ممارسات الإسلام وحضارة الإسلام، ولا شك أن التركيز على هذه القيمة يعطي دفعة قوية للمشروع الحضاري الإسلامي أمام البشر جميعاً وهم الذين يعانون الآن وقبل الآن من غياب العدل ومن ازدواج المعايير في ظل الحضارة الغربية.كما بحقق أروع معاني الحرية

اللا عنصرية:

عانت البشرية طويلاً، ومازالت تعاني حتى هذه اللحظة، من الممارسات العنصرية للحضارة الغربية، ومنذ تفوق الحضارة الغربية وقهرها للعالم وسيطرتها عليه، وهي تمارس أشكالاً متعددة من العنصرية من إبادة أجناس كاملة "الهنود الحمر" والتطهير العرقي للشعوب كالبوسنة والهرسك، أو استرقاق السود وإقامة أنظمة الفصل العنصري - ، ومازال الوجدان العنصري والممارسات العنصرية موجودة في أمريكا وأوروبا، لأن العنصرية جزء أصيل من القيم الحضارية الغربية.

ولا شك أن إبراز المساواة الإنسانية واللا عنصرية وهي من السمات الأساسية في الإسلام، لا شك أن إبراز هذه النقطة تشكل نقطة إضاءة كبيرة للمشروع الإسلامي في مستواه العام ويعكس الإسلام- وتعكس الحضارة الإسلامية على المستوى النظري والتطبيقي أروع صور

المساواة واللا عنصرية "فالناس سواسية كأسنان المشط" "وإن أكرمكم عند الله اتقاكم " و" لا فضل لعربي على عجمي إلا بـالتقوى" "كلكـم لآدم وآدم مـن تراب" "إن الله أذهب عنكم عصبية الجاهلية وتفاخرها بالآباء والأجداد، الناس لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسـود إلا بالتقوى".

ولم تكن مصادفة أن التجربة الإسلامية الأولى قامت على أكتاف رجال كان منهم الكثيرون من العبيد والموالي أمثال بلال الحبشي وصهيب الرومـي وسلمان الفارسي وزيد بن حارثة.. وغيرهم، وكان من هؤلاء العبيد والموالي الكثير من قادة الإسلام العظام في كل مجال عسكري أو سياسـي أو ثقـافي، وكان منهم العلماء في العلوم الدينية والدنيوية على حد سواء وأسهم هـؤلاء إسهاماً كبيراً في بناء وازدهار الحضارة الإسلامية، التي شارك فيها الأسـود والأبيض والأحمر والأصفر، التركي والفارسي والعربي على حد سواء.

ولعل إحدى السمات التي عاشت حتى الآن مع المسلمين ولم تتعـرض للضعف في وجدانهم وسلوكهم برغم حالة الانحطاط التي يعيشونها هي روح المساواة الإنسانية واللا عنصرية، حيث إن المسلمين حتـى الآن لا يعطـون لاختلاف اللون أو الجنس أي اهتمام ويمارسون اللا عنصرية كسلوك عادي،.

العناية بالضعيف:

العناية بالضعيف محور مهم من محاور المشـروع الإسـلامي ولعـل الإسلام دون المذاهب والفلسفات الاجتماعية والسياسية جعل للضعفاء حقوقـاً

نظرية وعملية، وجعل هذه الحقوق واجبة وجزءاً من العقيدة والإيمان*، فالعطف على الصغير والكبير والآباء واجب شرعي*، ورعاية الأبناء الصغار وتربيتهم وتلبية حاجاتهم البدنية والنفسية وتهذيبهم وتعليمهم واجب شرعي على الآباء فإن غاب الآباء فعلى الأقارب وإلا أثموا ويمكن للتقاضي الشرعي أن يلزمهم بذلك.

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُولُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ ﴾[1] وكذلك فللفقراء والمساكين والعاجزين عن العمل حق معلوم لدى الدولة الإسلامية "﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾[2]، والأيتام كذلك يحرص الإسلام على رعايتهم أيما رعاية ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ ﴾[3].

---

* من الناحية النظرية مثلاً فإن الماركسية لا تعترف بتلبية حاجات غير القادرين على العمل "لكل حسب طاقته".

* وكذلك البر بالأباء "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما، وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهم جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا" الإسراء ٢٣-٢٤.

١- الأحزاب آية ٦ .

٢ - الذاريات آية ١٩ .

٣- الضحى آية ٩ .

وقال رسول الله ﷺ : **"أنا وكافل اليتم كهاتين في الجنة وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى"**. صحيح تخريج السيوطي حققه الألباني

والضعفاء عموماً من أيتام ومساكين وفقراء وصغار وكبار سن وغرباء ومرضى وعاجزين ومعوقين لهم حقوق- نكرر حقوقاً- معلومة في أبواب الفقه الإسلامي﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ ﴾ (1)، وللرحمة بعد الحقوق باب كبير من أبواب الإسلام، والله تعالى وصف نفسه بالرحمة، وجعلها من أفضل الأخلاق والممارسات التي يتقرب بها العبد إلى ربه.

والعناية بالضعفاء يكملها العناية بكل الكائنات غير البشرية والمسلم رحيم بكل مخلوقات الله تعالى "فإذا ذبحنا علينا أن نحسن الذبح" وتعذيب الحيوانات والطيور محرم شرعاً "وامرأة دخلت النار في قطة حبستها" والرحمة بالحيوان طريق إلى الجنة "ورجل دخل الجنة في كلب عطشان سقاه" وإن في كل كبد رطبة لأجر والإنسان مسئول أمام الله عن إطعام الحيوانات والمواشي التي يستخدمها ويقتنيها، ومسئول أيضاً عن عدم إرهاقها بالعمل - ومسئول حتى عن نظافتها، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يخاف أن يحاسبه الله تعالى عن دابة تتعثر في الطريق لأنه لم يسو لها الطريق وهذه الحقوق التي يتمتع بها الضعفاء في المجتمع الإسلامي لا تنصفهم فقط بل تفتح أمامهم الطريق إلي حرية التعبير

١- الماعون آية ١ - ٣ .

النقــد والنقــد الذاتي:

النقد والنقد الذاتي أحد مكونات المشروع الإسلامي، والنقد والنقد الذاتي يبدأ هنا بالاعتراف بالحالة التي وصلت إليها أمتنا، والبحث عن أسباب هـذه الحالة، وطرق التخلص منها وتجاوزها وبناء نهضتنا وسيادتنا الحضارية من جديد.

والاعتراف بما وصلنا إليه يقتضي بالطبع الاعتراف بأننا الآن في حالة هزيمة حضارية، أمام الحضارة الغربيـة بالتحديـد، وأن بلادنـا مغتصـبة ومخترقة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وثقافياً، وخاضعة بصورة أو بـأخرى للهيمنة الغربية، وأننا وصلنا إلى هذه الحالة من التفكك والانحطاط والخضوع نتيجة عوامل كثيرة ترجع إلى التآمر العالمي على أمة الإسلام وترجع أيضـاً إلى تخلينا عن قيم إسلامية كثيرة وضرورية، وإلى سلبيتنا وقصـر نظرنـا، وترجع إلى الحكام والمحكومين على السواء، وبكلمة أخرى فإن لها أسـبابها الخارجية والداخلية معاً، والنقد والنقد الذاتي كفيل بتحديد هذه الأسباب وكفيل أيضاً بوضع الحلول الصحيحة لمواجهـة التحـديات والسـلبيات الخارجيـة والداخلية على حد سواء.

وللنقد والنقد الذاتي في قيمنا ومبادئنا وتراثنا الحضاري مساحة كبيـرة، وأهمية خاصة، وهي من الفرائض الإسلامية والممارسـات اليوميـة علـى مستوى الفرد المسلم والجماعة المسلمة والأمة المسلمة على حد سواء.

التوبة الفردية التي يمارسها المسلم في كل يوم عشرات المرات هي نوع من النقد الذاتي، والتوبة الجماعية التي يمارسها المسلمون في صلاة الجماعة أو في الحج أو غيرها من المناسك هي أيضاً نوع من النقد الذاتي، والتوبة هنا

ليست مجرد توبة عن الخطايا أو الذنوب الأخلاقية فقط، بل هي أيضاً التوبة من الأخطاء الاجتماعية والسياسية، والآيات القرآنية التي نزلت بعد غزوة أحد مثلاً تؤكد ضرورة التوبة أو النقد، ألم تكن تلك الآيات تنتقد مواقف وسلوك المسلمين. وتحلل أسباب الهزيمة؟ وهي درس لنا لنتعلم النقد وتحليل الأخطاء الجماعية، والمرأة المسلمة التي خطأت عمر بن الخطاب خليفة المسلمين وهو فوق المنبر كانت تمارس النقد، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما استمع إلى هذا النقد واعترف بخطئه جهاراً وعلناً وأمام حشد من المسلمين كان يمارس النقد الذاتي ويقبل النقد في نفس الوقت ويرسي معالم النقد والنقد الذاتي وهو القائل "أصابت امرأة وأخطأ عمر".

والمسلم مرآة أخيه- أليست هذه دعوة من الرسول ﷺ إلى النقد بل إلى وجوب النقد؟ "ورحم الله امرأ أهدى إلى عيوبي" تأتي أيضاً في هذا السياق؟

والآيات القرآنية الداعية إلى التوبة الفردية والجماعية كثيرة جداً، بل إن الله يخص بحبه التوابين﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾[1]

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [2]

١- البقرة آية ٢٢٢ .

٢ - ص آية ٣٠ .

أي أن النقد الذاتي صفة من صفات الأنبياء، والله تعالى يجعل هذه الصفة من الصفات التي يستحق بها العبد أن يمدحه ربه قائلاً "نعم العبد إنه أواب"، وهكذا فالنقد والنقد الذاتي فريضة وواجب على مستوى الفرد والجماعة والأمة، سراً وعلناً.

العلم:

لاشك أن تحصيل العلم يوسع مدارك الإنسان ومن ثم يزيد قدرته علي ممارسة حرية التعبير

ويشكل العلم- بصورته الشاملة- عنصراً هاماً من عناصر المشروع الإسلامي، وتأتي العلوم التجريبية والتقنية على رأس أولويات النهضة الإسلامية المرجوة ذلك أن أحد أسباب هزيمتنا وانحطاطنا الحضاري يرجع إلى إهمال الأخذ بأسباب العلم عموماً والعلوم التجريبية خصوصاً، والتفوق الأوروبي الهائل علينا هو في جوهرة تفوق علم وتكنولوجيا، وصحيح أن العلم في المشروع الإسلامي يستخدم لصالح الإنسان ولتحقيق أكبر قدر من السعادة لكل البشر، ولا يكون على حساب البيئة أو الكائنات الأخرى أو موجهاً لتحقيق أكبر قدر من المنفعة اللأخلاقية على حساب الإنسان، أو لحساب مجموعة من البشر على حساب باقي البشر بعكس الحضارة الغربية التي تسببت في شقاء البشرية منذ صعودها

ولا تناقض هناك بين الإسلام والعلم، بل إن الإسلام يحض على العلم، وقد شهدت العلوم جميعاً وخاصة التجريبية منها ازدهاراً واسعاً في ظل الحضارة الإسلامية أيام ازدهارها، وكانت هذه العلوم هي الأساس التي قامت عليه النهضة العلمية في أوروبا.

ولا شك أن نشر العلم والحصول على أحدث الحقائق العلمية والوسائل التقنية واجب شرعي، أياً كان مصدر ومكان هذا العلم ".. ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة.."(رواه مسلم)، "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها"، وفي هذا الصدد فإننا ندرك أن الحضارة الأوروبية لن تقدم لنا العلم بسهولة لأنها تريد باستمرار أن نظل متخلفين وخاضعين، علينا أن ننتزع هذه العلوم انتزاعاً، لاحظ أن أمريكا حاكمت المهندس المصري عبد القادر حلمي بتهمة سرقة التقنية الأمريكية!

وعلى كل مسلم أن يفعل ما يستطيع للحصول على العلم، ويعمل على تعليم الآخرين، لأن من يحجب العلم آثم شرعاً وبالتالي فإن التعليم هنا يصبح واجباً شرعياً وغاية لترقية الأمة والإنسانية وليس مجرد الحصول على خبرات علمية تحقق لصاحبها الكسب الشخصي والرقي الفردي أو الحصول على مركز اجتماعي أو مكاسب مادية. وتعليم الآخرين واجب شرعي كذلك، وعلينا أن نستفيد بخبرات العديد من العلماء البارزين في مختلف الأقطار الإسلامية، وكذلك ذلك الجيش الجرار من العلماء المسلمين المغتربين في أوروبا وأمريكا وغيرهما ووضع خطة طموحة للاستفادة من خبرات هؤلاء العلماء.

ويجب أيضاً أن يكون محو الأمية أولوية لدى المسلمين لأنه من العار علينا ونحن أمة "اقرأ" أن يكون بيننا من لا يعرف القراءة والكتابة، ورسولنا الكريم يقول "إنما بعثت معلما".

ورسول الإسلام يقرر أن ساعة من دروس العلم خير من سبعين ساعة عبادة، ومداد العلماء يوزن يوم القيامة بدماء الشهداء، أي أن العلم والتعليم هو

وحدة الذي يعادل مقام الجهاد والاستشهاد وهو مقام رفيع كما نعرف، ولعلنا نلتفت إلى المعنى المتضمن في كون أول آية نزلت من القرآن الكريم هي "اقرأ" وهي دعوة مباشرة لتقديم العلم والتعليم على ما عداه.

والآيات التي تحض على العلم في القرآن الكريم تزيد على ٧٥٠ آية في حين أن تلك المتعلقة بالفقه حوالي ١٥٠ فقط، وكذلك هناك الآيات التي تحض على السير في الأرض والنظر في علومها المختلفة كالأحياء والجيولوجيا والجغرافيا وغيرها. "قل سيروا في الأرض فانظروا.

إنصاف المحرومين:

في عالم يستأثر فيه ٢٠% من السكان بكل أو معظم الثروات على حساب ٨٠%، في عالم يجوع فيه الناس بل يموتون جوعاً "يموت في إفريقيا وحدها ٥٠ مليون من الجوع سنوياً منهم ١٥ مليون طفل"، في عالم فيه اختلال مروع في توزيع الثروة سواء على مستوى القارات، حيث تستأثر قارات على حساب قارات أخرى، أو على مستوى الدول.

حيث تستأثر بالثروات دول على حساب دول أخرى، أو حتى داخل الدولة الواحدة حيث تستأثر طبقة على حساب طبقة، فإن إبراز اهتمام المشروع الحضاري الإسلامي بإنصاف المحرومين اقتصادياً والدعوة إلى عدالة توزيع الثروة أمر له أهميته في إقناع العالم بالمشروع الحضاري الإسلامي، وهو أيضاً فرض شرعي علينا تجاه الأمم والشعوب والأفراد المحرومين.

ونحن مطالبون بالدعوة إلى إعادة توزيع الثروة في العالم على مستوى العلاقات الدولية وقوانين التجارة وأسعار الخامات ونقل الخبرات العلمية

والاهتمام بالتدريب والتعليم لتحقيق أكبر قدر ممكن من الثروة والنهضة للدول المختلفة والقارات المختلفة.

ومطالبون أيضاً داخل كل دولة على حدة بالانحياز للفقراء والمحرومين، والعمل على استعادة حقوقهم الاقتصادية والقضاء على التفاوت الطبقي ومنع استئثار طبقة بالخيرات على حساب طبقة أو طبقات أخرى وننطلق في هذا الأمر من إدراكنا بأن الثروات المتاحة في العالم تكفي جميع سكان العالم آلاف المرات وليس في هذا مبالغة. وأن الحرمان والفقر الموجود في هذا المكان أو ذاك يرجع إلى سوء توزيع الثروة أو عدم استقلالها أصلاً {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ }النحل١٨ وبالتالي فإنه من غير المعقول ولا من الطبيعي أن يستمر الجوع والفقر في العالم برغم كل هذه الثروات وعلينا أن نجاهد لرفع الظلم عن المحرومين أفراداً وشعوباً واستعادة حقوق هؤلاء المحرومين.

ولا شك أن الدعوة إلى إشباع حاجات الناس جميعاً أصل إسلامي واضح ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝ ﴾ [1]، وفي **الحديث** ليس المؤمن بالذي يشبع و جاره جائع إلى جنبه، **التخريج** صحيح **المرجع** صحيح الجامع الصغير **تخريج السيوطي**،عن ابن عباس. **تحقيق الألباني** (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٣٨٢ في صحيح الجامع

---

[1]- الحشر آية ٧ .

والجار هنا قد يكون فرداً أو أسرة أو مدينة أو دولة أو قارة.. وهكـذا"
"إذا جاع الناس فلا مال لأحد"

"من كان عنده فضل ظهر فليجد به على من لا ظهر له.." وعدد جميع أنواع النعم. حديث شريف.

﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [1] {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ }البقرة ٢١٩أي على الإنسان أن ينفق على المحرومين كل ما زاد عن حاجته.

"لأخذت أموال الأغنياء فرددتها على الفقراء" قول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

"ما حرم فقير إلا بما متع به غني" قول لعلي بن أبي طالـب كـرم الله وجهه، أي الحرمان يأتي من الظلم وسوء توزيع الثروة.

حماية الأقليات:

من العناصر المهمة في المشروع الإسلامي في مستواه العـام مسـألة حماية الأقليات، وفضلاً عن أنها فريضة شرعية، فإنها أيضاً تعكـس القـيم العظيمة لحضارة الإسلام بحيث تصبح هذه المسألة نقطة جـذب حضـاري

١- البقرة آية ٢١٩ .

لدخول العالم في المشروع الحضاري الإسلامي ولاشك أن الكثير من الأقليات الدينية والعرقية والقومية في العالم تعاني من الاضطهاد منذ أن سادت وهيمنت الحضارة الغربية على مقدرات العالم.

والأصول النظرية، والممارسات العملية في حضارة الإسلام تمثل أروع وأعظم ما عرفته البشرية في هذا الإطار فبداية فإن الإسلام يخدم خصوصية الأقليات ويحرص على تأكيدها ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [1] ويدعو إلى احترام الجماعات البشرية بعضها بعضاً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [2].

ويجعل المعيار القانوني واحداً بالنسبة للأقلية والأغلبية فلا ازدواج معايير هناك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ

١- البقرة آية ٢٥٦ .

٢- الحجرات آية ١٣ .

ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾[1] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ ٱعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[2]﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾[3] .

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[4]، ويقول الرسول ﷺ: **"عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به"**، ويقول **"من ظلم معاهداً أو ذمياً أو كلفه قومه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة"**.

وفي هذا الصدد ننقل عن المفكر الإسلامي إسماعيل الفار وفي قوله "لقد بلغ المجتمع الإسلامي حدوداً تفوق التصور في توفير حرية الاعتقاد للآخرين، وقد حدد المسلمون تلك الميزة – حرية الاعتقاد– التي منحها الله

١- المائدة آية ٢ .

٢- المائدة آية ٨

٣ – النساء آية ١٣٥ .

٤- الممتحنة آية ٨ .

لليهود والمسيحيين والصابئين في القرآن الكريم- حتى شملت الزرادشتيين والهندوس والبوذيين والمجوس والموالين للديانات الأخرى عندما اتصلوا بها".

ويقول الكاتب الإسلامي فهمي هويدي "لم يقتصر الأمر على مجرد حماية الأقليات وتحقيق حرية الاعتقاد للآخرين، بل تعدي إلى قيام المسلمين بحفظ التراث الحضاري للديانات الأخرى".

ويروي شكيب أرسلان في مقال له بعنوان التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي "أن أحد الوزراء العثمانيين كان مرة في أحد المجالس في جدال مع بعض رجال الدولة الأوروبيين فيما يتعلق بهذا الموضوع، فقال لهم الوزير العثماني: إننا نحن المسلمين من ترك وعرب وغيرهم مهما بلغ بنا التعصب في الدين فلا يصل بنا إلى درجة استئصال شأفة أعدائنا ولو كنا قادرين على استئصالهم- ولقد مرت بنا قرون وأدوار كنا قادرين فيها على ألا نبقي بين أظهرنا إلا من أقر بالشهادتين وأن نجعل بلداننا كلها صافية للإسلام فما هجس في ضمائرنا خاطر كهذا الخاطر أصلاً.

وكان إذا خطر هذا ببال أحد ملوكنا كما وقع للسلطان سليم الأول العثماني تقوم في وجهه الملة ويواجهه أمثال زنبيلي أفندي على شيخ الإسلام ويقول له بلا محاباة ليس لك على النصارى واليهود إلا الجزية وليس لك أن تزيحهم عن أوطانهم فيرجع السلطان عن عزمه امتثالاً لشرع الله الحنيف، فيبقى بين أظهرنا حتى أبعد القرى وأصغرها نصارى ويهود وصابئة وسامرة ومجوس وكلهم كانوا- وآخرون- لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، أما أنتم معاشر الأوروبيين فلم تطيقوا أن يبقى بين أظهركم مسلم واحد، واشترطتم على من أراد البقاء بينكم أن يتنصر، ولقد كان في أسبانيا ملايين

وملايين من المسلمين، وكان في جنوب فرنسا وشمالي إيطاليا وجنوبها مئات الألوف منهم، ولبثوا في هذه الأراضي اعصرا مديدة، وما زلتم تستأصـــلون منهم حتى لم يبق في هذه البلدان شخص واحد يدين بالإسلام، ولقد طفت بلاد أسبانيا كلها فلم أعثر فيها على قبر واحد يعرف أنه قبر مسلم".

وفي إطار الحضارة الإسلامية، عاشت الأقليـــات ومارســـت عقيـــدتها وحريتها، بل شاركت في الممارسات الحضارية الإسلامية، وقد بلغ التســـامح الإسلامي الديني في تجربة الحضارة الإسلامية في الأندلس مبلغـــاً عظيمـــاً، ولدت أسماء مسيحية ويهودية في إطار الحضارة الإسلامية ولعل ابن ميمون الأندلسي خير شاهد على ذلك فبرغم كونه يهودياً يعيش في مجتمع مسلم، إلا أن ذلك لم يعفه من أن يصبح مفكراً أو فيلسوفاً بارزاً.

وفي الحقيقة فإنه إذا كانت الأقليات قد مارست حريتها في ظل الحضارة الإسلامية، وإذا كانت هذه الأقليات في الشرق بالذات وفي حالة أقباط مصر على وجه الخصوص قد اندمجوا في الحضارة الإسلامية وساهموا في صنعها وازدهارها، وأصبحوا بالتالي جزءاً منها بحيث إنهم أصبحوا ينتمون إلى الإسلام كثقافة وكحضارة وكوطن وإن اختلفوا في الدين والعقيدة، فإن هذا يعني أن المشروع الحضاري الإسلامي يضم المسلمين ويضم مسيحي الشرق عموماً وأقباط مصر خصوصاً، وأن هؤلاء كالمسلمين سواء بسواء سوف يحملون قيم المشروع الحضاري الإسلامي إلى العالم أجمع.

وهكذا فإن هناك مساحة واسع ة لحرية التعبير للفرد والجماعة للمسلم وغير المسلم

استقلال القضاء:

لا يكون عدل، ولا تكون حرية، ألا بقضاء مستقل نزيه، ولعل كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري تمثل وثيقة هامة في هذا الصدد،[1] فمنذ ما ولي عبد الله بن قيس "أبو موسى الأشعري القضاء في خلافة عمر بن الخطاب كتب إليه عمر كتابا بعدد من المحددات لتحقيق عدالة القضاء ونزاهته وقد جاء فيه

– أن التشريعات العادلة وحدها لا تكفي، بلا لابد من قاض يحكم بها ولابد من أن يضعها موضع التنفيذ "أنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له

– أن الحق لا يبطله شيء، فإذا أجتهد القاضي وأخطأ، فإن عليه التراجع عن ذلك، مهما تقادم الزمن، وهذا التوجيه يفتح الباب لا مكانية استئناف حكم القاضي أمامه هو نفسه أو أمام غيره "لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك، وهديت لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق لا يبطله شيء، وأعلم أن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل.

– أن الصلح متاح بشرط ألا يكون على حساب الحق، فالحق هو المعيار عند الصلح وعند النزاع على حد السواء "والصلح جائز بين الناس إلا ما أحل حراما أو حرم حلالا.

– أنه يجب المساواة بين المتخاصمين في مجلس القضاء، مهما كان الفرق بينهما في المنزلة العلمية أو الدينية أو السياسية أو المالية، وكذا يجب علي القاضي أن يعاملهما بحياد تام "آسي بين الناس في مجلسك ووجهك"

---

١ – النويري. نهاية الإرب في فنون الأدب – طبعة القاهرة – جزء ١٩

- أن جميع المسلمين سواسية في الشهادة بصرف النظر عن مراكزهم الاجتماعية إلا في بعض الأمور التي تقدح في شهادتهم مثل شهادة أحدهم بالزور من قبل، أو كان قريبا لأحد الخصوم أو معروف بالولاء له "والمسلمون عدول في الشهادة، إلا مجلودا في حد، أو مجربا علية شهادة زور، أو ظنينا في ولاء أو قرابة"

- استخدام الفهم والعقل فيما لم يرد فيه قرآن أو سنه "الفهم – الفهم" فيما ليس فيه قرآن أو سنة.

- استخدام القياس كوسيلة من وسائل الفهم في القضاء "وأعرف الأشباه والأمثال" ثم قس الأمور بعد ذلك.

- أن القضاء فريضة محكمة وسنة وثيقة.

والقضاء في الإسلام مستقل، لا يتدخل فيه السلطان، بل هو نفسه يخضع لهذا القضاء ويكون على قدم المساواة مع الخصم أمام القاضي فقد سأل عمر بن الخطاب رجلا له قضية "ماذا صنعت فقال الرجل قضي على بكذا، قال عمر لو كنت أنا لقضيت بكذا قال صاحب القضية فما يمنعك والأمر إليك، فقال عمر لو كنت أردك إلى كتاب الله أو إلى سنة نبيه لفعلته، ولكني أردك إلى رأبي، والرأي مشترك [1].

وأخذ النظام الإسلامي بمبدأ فصل السلطات، فجعل للقاضي وظيفة غير وظيفة التنفيذ ما لم ينص على ولاية خاصة في أمر ولايته قال أحمد بن إدريس القرافي في الذخيرة [2] "ولاية القضاء متبادلة لحكم لا يتدرج فيها

١- ابن الأثير "أسد الغابة في معرفة الصحابة – طبعة دار الشعب القاهرة.

٢- نقلا عن عباس محمود العقاد – الديمقراطية في الإسلام – نهضة مصر القاهرة – ط ٢٠٠٥

غيره، وليس للقاضي السياسية العامة لا سيما الحاكم الذي لا قدرة له على التنفيذ، وأما قوة التنفيذ فأمر زائد على كونه حاكما، فقد يفوضه إليه التنفيذ وقد لا يندرج في ولايته، وليس للقاضي قسمة الغنائم وتفريق أموال بيت المال على المصالح وإقامة الحدود وترتيب الجيوش وقتال البغاة.

وكان الخلفاء يقترون على أنفسهم ويوسعون في أرزاق القضاء، فكان رزق سليمان بن ربيعة الباهلي في عهد عمر خمسمائة درهم مشاهرة وكذلك كان رزق شريح في عهد على ، وجرت سنة الخلفاء بعدهم على التوسعة في أرزاق القضاة وترجيهم على الولاة.

ومن الآداب المطلوبة للقاضي "ألا يشتري بنفسه ولا بوكيل معلوم حتى لا يسامح في البيع" وكان الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز يقول "تجارة الولاة مفسدة وللرعية مهلكة، ففكان يغني القضاة بسعة الرزق عن التكسب والاتجار"[1].

١- نقلا عن عباس محمود العقاد – نفس المرجع السابق

وثائـــق

١- خطبة أبي بكر الصديق بعد توليته الخلافة:

أما بعد، أيها الناس، فإني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي منكم ضعيف عندي، حتى آخذ الحق منه أن شاء الله. لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم....

أيها الناس، إنما أنا مثلكم، وأني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله صل الله علية وسلم، يطيق إن الله اصطفي محمد على العالمين، وعصمه من الآفات. فإنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقمت فأتبعوني، وإن زغت فقوموني. وأن رسول الله ﷺ قبض، وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمطلب، ضربه سوط فما دونها، ألا وإنما لي شيطان يعتريني، فإذا أتاني فاجتنبوني، لا أؤثر في إشعاركم وإبشاركم وإنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم ألا يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله. فسابقوا في مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال، فإن قومًا نسوا آجالهم، وجعلوا أعمالهم لغيرهم، فأنها كم أن تكونوا أمثالهم؛ الجد الجد، والوحي الوحي ، والنجاة النجاة، وإن وراءكم

طالبا حثيثًا، أجلا مره سريع.واحذروا الموت، واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبط به الأموات.

إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه، فأريدوا الله بأعمالكم، واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم ، فطاعة أتيتموها، وحظ ظفرتم به، وضرائب أديتموها، وسلف قدمتموه من أيام فانية لأخرى باقية، لحين فقركم وحاجتكم، واعتبروا يا عباد الله بمن مات منكم، وفكروا فيمن كان قبلكم

أين كانوا أمس؟ وأين هم اليوم؟! أين الجبارون الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة ومواطن الحروب؟ قد تضعضع بهم الدهر وصاروا رميما، قد تركت عليهم القالات، الخبيثات للخبيثين، والخبيثون للخبيثات.وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها، قد بعدوا، ونسي ذكرهم، وصاروا كلا شيء. ألا إن الله قد أبقى عليهم التبعات، وقطع عنهم الشهوات، ومضوا والأعمال أعمالهم، والدنيا دنيا غيرهم، وبقينا خلفاً بعدهم، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا. أين الوضاء الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم؟ صاروا ترابا، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم.

أين الذين بنوا المدائن، وحصنوها بالحوائط، وجعلوا فيها الأعاجيب؟ قد تركوها لمن خلفهم، فتلك مساكنهم خاوية وهم في ظلمات القبور، هل تحس منهم من أحد، أو تسمع لهم ركزا ؟!.. أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم؟ قد انتهت بهم آجالهم، فوردوا على ما قدموا، فحلوا عليه، وأقاموا للشقوة أو السعادة فيما بعد الموت، ألا إن الله لا شريك له، ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيرًا، ولا يصرف به عنه شرًا إلا بطاعته واتباع أمره. واعلموا أنكم عبيد مذنبون، وأن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته.

ألا وإنه لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة. والله، سبحانه وتعالى أعلم.

٢-خطاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى ألا شعري:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر، أمير المؤمنين، إلى عبد الله بن قيس. سلام عليك. أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له.

آس بين الناس في مجلسك ووجهك، حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييئس ضعيف من عدلك. البينة على من ادعي، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين الناس، إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا. ولا يمنعك قضاء قضيتة بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق لا يبطله شيء. وأعلم أن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل. الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما ليس فيه قرآن ولا سنة. واعرف الأشباه والأمثال، ثم قس الأمور بعد ذلك، ثم اعمد لأحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما تري.

اجعل لمن ادعي حقا غائبا أمدا ينتهي إلية، فإن أحضر بينة أخذ بحقه، وإلا استحللت عليه القضاء. والمسلمون عدول في الشهادة، إلا مجلود في حد، أو مجربا عليه شهادة زور، أو ظنينا في ولاء أو قرابة. إن الله تولي منكم السرائر، ودرأ عنكم بالبينات. وإياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن الذخر، فإنه من صلحت سريرته فيما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين للدنيا بغير ما يعلم الله منه شنأه الله. والسلام.

النظام الاقتصادي في الإسلام

لا تتحقق حرية تعبير ما لم يكن الناس في مأمن من الفقر والحاجة، وألا تكون هناك بطالة وتعطل، وإذا كان البعض يري أن الحرية مستحيلة مع بقاء تحكم الأغنياء في الفقراء فإن هذا صحيح، ولكن من الصحة أيضا أن نختار الطريق الأفضل لتحقيق الحد الأدنى من الرزق والعمل لكل الناس دون أن تسوي بين النشطاء والكسالى. وهذا يحققه النظام الاقتصادي في الإسلام، بل أن هذا النظام أيضا يرتب حقوقا للعاجزين وغير القادرين على العمل، على عكس الاشتراكية العلمانية مثلا التي ليس فيها من الناحية النظرية وناحية المذهب الاقتصادي أي حقوق للعاجزين " فكل حسب عمله" بل ويحدث أن تظهر حركات مثل النازية تطلب إعدام غير القادرين على العمل والمسنين لأنهم عالة على المجتمع، ولكن الإسلام يكرم هؤلاء أيما تكريم، ويجعل إعطائهم حقهم في الحياة والرزق واجباً لا يتم الإيمان ألا به.

ومن القواعد العامة في الإسلام، أن المال مال الله والناس مستخلفون فيه، وألا تكون الأموال دولة بين الأغنياء﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧ ﴾ [1]، ويحرم الإسلام كنز المال وعدم إنفاقه على الفقراء والمحتاجين ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا

١- الحشر آية ٧ .

مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [1]، ويكره طغيان الغني ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ [2]، ويحرم الإسلام الربا أي الكسب بدون عمل أو مخاطر﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[3]

ويدعو إلى العمل، وتوفير العمل لكل قادر "أن أفضل الكسب، كسب الرجل من يده، وإن الله يحب العبد المحترف ويكره العبد البطال وكذا حرم الله الرشوة" ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[4] .

١- التوبة آية ٣٤ .

٢- العلق آية ٦ – ٧ .

٣- البقرة آية ٢٧٥ .

٤- النساء٢٩

النظام الاقتصادي الإسلامي:

نتحدث عن النظام الاقتصادي في الإسلام بالشكل الذي يظهر:

١) رفض الإسلام لكافة أشكال الاستغلال الاقتصادي،.

٢) أننا لسنا مجتهدين بالقدر الذي يسمح لنا باستنباط المذهب الاقتصادي من النصوص أو الواقع الإسلامي مباشرة؛ وبالتالي فلم يكن أمامنا إلا أن نأخذ باجتهاد من بحثوا في هذا الشأن الأستاذ المودودي في مؤلفاته المختلفة وكذلك مقالاته المترجمة إلى العربية تحت عنوان " مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة ".

والأستاذ سيد قطب (العدالة الاجتماعية في الإسلام)، (معركة الإسلام مع الرأسمالية).

الأستاذ محمد الغزالي (الإسلام والمناهج الاشتراكية)، (الإسلام وأوضاعنا الاقتصادية)، (الإسلام والاستبداد السياسي).

الدكتور مصطفى كمال وصفي (مقالات في مجلة المسلم المعاصر، ومجلة الدعوة).

الدكتور مصطفى السباعي (في كتابه اشتراكية الإسلام).

الدكتور محمود أبو السعود (كتابه خطوط رئيسية في الاقتصاد الإسلامي، ومقالات في مجلة المسلم المعاصر).

وفي محاولتنا لدراسة الاقتصاد الإسلامي يجب أن نلاحظ ما يأتي:

أولاً: إن الاقتصاد الإسلامي جزء من كل: بمعنى ارتباط الاقتصاد الإسلامي بمفاهيم وعقائد ونظم الإسلام، وعدم إمكان دراسته وتطبيقه بمعزل عنها.

ثانيًا: الاقتصاد الإسلامي اقتصاد أخلاقي وواقعي في غاياته وفي طرقه كذلك.

ثالثًا: **الاقتصاد الإسلامي اقتصاد متميز عن المذاهب الرأسمالية والشيوعية والاشتراكية وهو مخالف لها في أساسها النظري، مخالف لها في أساليبه، مخالف لها في غاياته وإن تشابهت بعض التفصيلات بين النظام الإسلامي وإحدى هذه النظم ليس إلا من قبيل تشابه عيون شخصين مثلاً دون أن تربطهما رابطة دم أو جنس.**

رابعًا: إن الاقتصاد الإسلامي لا يسمح بأي شكل من أشكال الاستغلال.

خامسًا: إنه اقتصاد يحقق الحد المتوازن من الحياة الكريمة لكل فرد دون أن يضع عائقًا دون الارتفاع إلى آفاق عليا دون ظلم أو استغلال.

سادسًا: إنه اقتصاد يضع على عاتق أولي الأمر إتاحة فرص العمل لكل قادر والحاجة لكل محتاج حتى لا يبقى فقير أو عاطل في المجتمع الإسلامي دون النظر إلى دينه أو جنسيته.

سابعًا: إنه اقتصاد مخطط بمعنى أنه يجعل للدولة الإشراف المركزي على الإنتاج والتوزيع.

الهيكل العام للاقتصاد الإسلامي:

١) مبدأ الحرية الاقتصادية في نطاق محدود.

٢) مبدأ الملكية ذات الأشكال المتنوعة.

٣) مبدأ العدالة الاجتماعية.

مبدأ الملكية ذات الأشكال المتنوعة:

* **في الرأسمالية:** الملكية الخاصة هي المبدأ العام، والملكية العامة استثناء لظروف قاهرة.

* **في الاشتراكية:** الملكية العامة هي المبدأ العام، والملكية الخاصة اســتثناء لظروف قاهرة.

* **أمًا الإسلام:** فإنه يسمح بملكيات ذات أشكال متنوعة وليس لإحداها صــفة المبدأ العام والأخريات استثناء بل بوصفها تعبر عن تصميم مذهبي أصيل قائم على أسس مذهبية ثابتة وموضوعة داخل إطارها.

* **الملكية العامة:** وهي عامة لمجموع المسلمين مثل الأراضي العامرة بشريًا حال الفتح الإسلامي (الأراضي الخراجية).

* **ملكية الدولة:** مثل الأنفال (كل الثروات الطبيعية من غابات ومعادن).

* **ملكية خاصة:** تكتسب فقط عن طريق العمل الاســتثماري بمــا لا يهــدد التوازن العام، مع ملاحظة أن الملكية الخاصة ذات مجال ضيق ويترتب عليها واجبات محددة تجاه الله وتجاه الجماعة، والملكية الخاصة وكالة عن الله الذي استخلف الجماعة في الثروة؛ الملكية الخاصة أداة وليست غايــة فــي ذاتهــا وليست معيارًا للكرامة أو الفضل في المجتمع..

مبدأ الحرية الاقتصادية في نطاق محدد:

الإسلام لا يصادر الحرية الاقتصادية تمامًا كما تفعل الاشتراكية، كما أنه لا يتركها بدون حدود كما يملي النظام الرأسمالي.

ولكن الإسلام لا يعترف بالحرية الاقتصادية إلا في نطاق محدود ويجعل لها حدودًا تتمثل في:

١-تحديد ذاتي:

نابع من أعماق النفس بناءً على التربية الإسلامية، وانتشــار المفــاهيم الإسلامية في المجتمع. يلاحظ أن التحديد الذاتي دون التحديد الموضوعي ظل

هو الضمان الوحيد لأعمال البر والخير بين المسلمين بعـــد انتهـــاء تطبيـــق الشريعة الإسلامية وخسارة الإسلام لتجربته فـــي الحيـــاة، وفقدانـــه للقيـــادة السياسية والاجتماعية للحياة ...

تحديد موضوعي:

أ- تشريعات محددة تمنع أعمالاً محددة مثل: الغش، والميسر، والربا، وغيرها.

ب- إشراف ولي الأمر على الممارسة الاقتصادية وإعطائها التوجيه الصحيح لصالح المجتمع وبما لا يهدد التوازن؛ فيمكن أن يؤمم أو يمنع من ممارسة اقتصادية معينة حتى ولو كانت في أصلها مباحة والمعيار في هذا الأمر هو مصلحة الأمة الإسلامية.

المشكلة الاقتصادية في الإســـلام وحلولها:

تتمثل المشكلة الاقتصادية في نظر الرأسمالية في الندرة بمعنى عدم قدرة الموارد الطبيعية على تلبية احتياجات الإنسان المتجددة.

وتتمثل في الماركسية في التناقض بين قوى الإنتاج وعلاقات التوزيع.

أمّا في الإسلام:

فيقول الله تعالى:﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [١].

وتلك الآيات الكريمة تقرر في وضوح:

١- إبراهيم آية ٣٤ .

١. أن الله تعالى قد خلق للبشرية من الثروات الطبيعية ما يلبي احتياجاتها جميعًا دون قصور ونفاد.

٢. أن المشكلة تكمن في الإنسان ذاته بسبب أنه ظلوم كفار:

أ- كفار بعدم استخدامه الثروات الطبيعية، وعدم استثمارها بشكل علمي.

ب- ظلوم بعدم ممارسته عدالة التوزيع.

ولكن كيف عالج الإسلام هاتين القضيتين الأساسيتين وهي الإنتاج والتوزيع؟

أ- الإنتاج:

يدعو الإسلام إلى التنمية الاقتصادية بالتحريض على ذلك عقائديًا وفكريًا وتشريعيًا.

- الإنتاج في الإسلام يخضع لمبدأ الإشراف المركزي.
- للدولة دور قيادي في التنمية الاقتصادية.
- الإنتاج يهدف إلى إشباع جميع حاجات الأفراد.
- يرفض الإسلام إنتاج الموارد الكمالية أو نصف الضرورية إلا بعد استكمال إنتاج الموارد الضرورية تمامًا.
- يرفض المجتمع الإسلامي إنتاج أدوات الترف والمجون رفضًا تامًا.

ب- التوزيع:

العمل والحاجة هما أساسا التوزيع في الإسلام، ولقد نظَّم الإسلام التوزيع بشكل يضمن منع وقوع الظلم والاستغلال ولم يسمح بالتملك إلا

بالعمل الاستثماري غير الاحتكاري، ومنع الإسلام التملك عن طريق الحيازة في الثروات الطبيعية

يلاحظ أن الحاجة تدخل في التوزيع لعدم قدرة بعض البشر أصلاً على العمل كالعاجزين مثلاً، كما أن بعض الناس ينتجون أقل مما يحتاجون بسبب ضعفهم، وقد جعل الإسلام لهؤلاء وأولئك الحق في إشباع حاجاتهم. وضمن لهم نصيبًا من الثروة.

حقوق الفرد في المجتمع الإسلامي:

١. حق الحياة.
٢. حق الكرامة.
٣. حق الحرية (حرية العقيدة – حرية إبداء الرأي – حق النشر).
٤. حق العمل لكل قادر.
٥. حق التعليم والعلاج المجاني.
٦. حق كل مواطن (ذميًا كان أو مسلمًا) في المأكل والمسكن والمواصلات.
٧. حق كل مواطن في الزواج وتكوين أسرة.

والسؤال الآن كيف تستطيع الحكومة الإسلامية تحقيق ذلك؟؟

إذا قررنا أن المجتمعات البشرية لم تشهد الفقر والظلم الاجتماعي بسبب قلة الموارد ولكن بسبب سوء توزيعها فإن الأمر يبدو واضحًا أن الفقر المدقع لا يوجد إلا بسبب الغنى المترف.

كيف قضى الإسلام على الفقــر والاستغلال:

مقولة إن الفقر ينشأ من قلة الموارد مرفوضة إسلاميًا بسبب كثرة الموارد التي أتاحها الله سبحانه للبشر.

والفقر ينشأ إمّا من عدم الاهتمام بالتنمية أو عن سوء التوزيع، وبالنسبة للأمر الأول فالإسلام يحث على التنمية كما تقدم شرحه وعلى هذا يبقى أمر واحد وهو استئثار قلة بالموارد وحرمان الأغلبية الساحقة، أو ما يعبر عنه رجال الاقتصاد بالاستغلال الاقتصادي والذي ينشئه:

أ- ممارسة البعض لأمور غير منتجة ما يشكل عبئًا على المجتمع كممارسة (الدعارة – والقمار) وغيرهما مما حرّمه الإسلام.

ب- ممارسة البعض لعمليات التهريب والرشوة والاتجار بقوت الشعب واحتكار المواد الضرورية وهي أمور يعاقب عليها الإسلام ويتوعد من يفعلها.

جـ- إثراء البعض عن طريق الربا وهو محرم إسلاميًا.

د- احتكار البعض للثروات الطبيعية وهو محرم شرعًا فإن هذه الثروات الطبيعية إمّا مملوكة ملكية عامة،

أو مملوكة للدولة، أو مباحة إباحة عامة للجماهير

ولا يصح فيها أخذ الفرد لأكثر من حاجته الشخصية فقط.

إن للإمام صلاحيات ضخمة بشأن اتباع الأسلوب الأمثل لاستغلال تلك الثروات بما يحقق مصالح الأمة

هـ- ممارسة البعض لأساليب الإنتاج الرأسمالي وبالتالي امتصاص فائض قيمة العمل المأجور لصالحهم.

والإسلام يرفض تملك الثروات الطبيعية عن طريقالاحتكار.

ويرفض الوكالة والاستثمار في استغلال الغابات مثلاً.

ومن هنا لم يترك الإسلام أمام الفرد إلا العمل المباشر كشرط للتملك و لم يبق أمام الفرد لممارسة الملكية الخاصة إلا العمل المباشر الذي يقوم به بنفسه – وهذا بالطبع محدود بالنسبة لأثره على التوازن الاجتماعي ومع هذا رتّب الإسلام على ذلك ظروفًا وشروطًا تمنع من خروجه عن الحدود المرسومة له بل وخوّل الإمام حق تأميم أي ملكية إذا بدأت تمارس إخلالاً بالتوازن الاجتماعي.

من هذا يتضح أن الإسلام قطع الطريق تمامًا على الاستغلال؛ وبالتالي لن يوجد فقر (لكثرة الموارد، وعدم وجود استغلال) أضف إلى ذلك تشريعات العدالة الاجتماعية تحصل على منهج فذ في تحقيق الحقوق المشار إليها سابقًا، وخروج المجتمع السعيد إلى عالم الوجود.

العدالة الاجتماعية في الإسلام:

الحديث عن العدالة الاجتماعية في الإسلام يعني أساسًا ممارسة الدولة الإسلامية لدورها في تحقيق الرخاء لكل مواطن، وإعطاءه الحق كما سبق في التعليم المجاني والعلاج المجاني، وأن تكفل له الدولة المأكل والملبس والمواصلات كما سبق توضيحه. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ممارسة صلاحيتها بشأن منع الاستغلال وتحقيق التوازن الاجتماعي. وعلى هذا فإنه وبالإضافة إلى ما تقدّم فإننا بصدد بحث:–

١. التوازن الاجتماعي.
٢. الضمان الاجتماعي.

١- التوازن الاجتماعي:

في مفهوم الإسلام (ألا يكون المال دولة بين الأغنياء) وهو عدالة توزيع الثروة – وهو تضييق الفوارق بين طبقات الناس – هو أن نجعل الفرق بين أكثر الناس غني وأقلهم غنى (وليس أفقرهم فليس في المجتمع المسلم فقير) فرقًا في الدرجة وليس تفاوتًا رهيبًا كما نرى ونلمس في سائر الأنظمة الاقتصادية المعاصرة. والدولة تحقق ذلك عن طريق:-

أ- فرض ضرائب ثابتة تؤخذ بصورة مستمرة وينفق منها لتحقيق ورعاية التوازن العام.

ب- إيجاد قطاع لملكية الدولة وتوجيه الدولة لاستثمارها لأغراض التوازن.

جـ- طبيعة التشريع الإسلامي الذي ينظم الحياة الاقتصادية في مختلف الأحوال.

والحكومة الإسلامية ملتزمة في هذا الإطار بضغط مستوى المعيشة من أعلى بتحريم الإسراف، وبضغط مستوى المعيشة من أسفل بالارتفاع بمستوى الأفراد، على أن مفهوم الإسلام للغنى ليس تلبية للحاجات الضرورية فقط بل أن يملك الإنسان ما يأكل ويلبس ويسكن ويتزوج ويحج ويتصدق أيضًا.
فالفقير في نظر الإسلام هو من لم يظفر بمستوى من المعيشة يمكّنه من إشباع حاجاته الضرورية والكمالية بالقدر الذي تسمح به حدود الثروة في البلاد، وبقدر ما يتسع مستوى المعيشة يتسع المدلول الواقعي للفقر فإذا اعتاد الناس مثلاً استقلال كل عائلة بدار أصبح حرمان عائلة من دار مستقلة مملوكة لهم لونًا من الفقر (أي إن الإسلام لم يعط مفهومًا ثابتًا للفقر) وعلى هذا فالتوازن

يعني إغناء كل فرد (مسلمًا كان أم ذميًا) بالقدر الذي يتناسب وإمكانيات المجتمع في ذلك الوقت.

٢- الضمان الاجتماعي:

هو ضمان الأمة لتلبية حاجات جميع أفرادها حتى تشيع بينهم الطمأنينة فيندفعوا إلى الإنتاج غير عابئين بالنتائج
ما دامت حاجاتهم مكفولة أصلاً من قبل المجتمع، ويعتمد ذلك الضمان على:

أ- التكافل العام - فالمسلم أخو المسلم وكفالته واجبة عليه وعلى الإمام إجبار المسلمين على ذلك إذا لم يحققوها بأنفسهم؛ ومن هنا فإن على المسلمين
ألا يظهر بينهم محتاج وإلا أثموا جميعًا وأصبح على الإمام إرغامهم على دفع غائلة الحاجة عن ذلك المحتاج.

ب- حق الجماعة في موارد الثروة وحيث إن الثروة أصلاً استخلاف من الله للجماعة فإن حق كل فرد في الجماعة في كفالة حاجته مصونة إسلاميًا وعلى الإمام:

١. أن يوفر العمل لكل قادر.
٢. أن يكفل المحتاج بالشكل الذي يغنيه وطبقًا لمفهوم الإسلام عن الغنى.

والسؤال الآن - فرضًا - إذا لم تكف تلك النظم لدفع الحاجة بسبب القحط أو المجاعة أو غيرها من الأسباب..؟؟

الجواب يتمثل في دراسة نموذج عمر بن الخطاب في مواجهة عام الرمادة وهو ما يلخصه القول: (إذا جاع المسلمون فلا مال لأحد).

المنظومة السياسية:

يقوم النظام السياسي الإسلامي على عدد من المحاور كالتالي:

(١)- المسئولية الفردية: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[1]،﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [2] .

وكل إنسان مسئول في إطار معين "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الأمام راع ومسئول عن راعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئوله عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" "حديث صحيح - تحقيق الألباني تخريج السيوطي في الجامع الصغير"

(٢)- تساوي الناس في الحقوق وعموم تلك الحقوق:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[3]، وفي الحديث الشريف «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لقرشي على حبشي إلا بالتقوى»، «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله

١- الأنعام آية ١٦٤ .

٢- المدثر آية ٣٨ .

٣- الحجرات آية ١٣ .

شيئا، يا بني مناف اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطالب لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية بنت عبد المطالب لا أغني عنك من الله شيئا يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا» حديث صحيح – صحيح الجامع الصغير للسيوطي – تحقيق الألباني.

والدعوة الإسلامية ذاتها مقدمة لكل الناس القوي والضعيف، الغني والفقير السيد والعبد، العربي والعجمي والرومي والحبشي ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (١)

(٣)- التضامن بين الرعية والتعاون على البر والتقوى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ (٢)

١- سبأ آية ٢٨ .

٢- المائدة آية ٢ .

(٤)- الشورى:

وإذا كان النظام الإسلامي في كل تفصيلاته يقود إلى حرية التعبير فإن الشورى تحديدا أكثر التصاقا بتلك المهمة، ذلك أنها تجعل حرية التعبير فريضة على الأمام أن يطلبها من الرعية، وعلى الرعية أن تؤديها إلى الأمام، وإلى غير الأمام، فالنصيحة لله وللرسول وللأمام وللعامة والخاصة على حد سواء، والدين النصيحة كما هو معروف {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }آل عمران١٥٩

وهذا يعني أن الشورى فريضة بنص القرآن الكريم، وكذلك في الآية إرشاد إلى النبي وإلى من بعده ألا يكونوا غليظي القلوب أو مخيفين مرعبين، وذلك حتى يستطيع الرعية أداء النصيحة إليهم بدون خوف، وفي القرطبي "الجامع لا حكام القرآن" "أن الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب وهذا لا خلاف فيه.

﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟

﴿ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [1] .

والله تعالى هنا يزكي الشورى بين الأزواج حتى في أشد حالات الخلاف، ومن ثم فالشورى سياسية عامة بين الراعي والرعية، وسياسية خاصة بين الإنسان وزوجته، والفرد وأسرته والآخرين والأصدقاء على حد سواء، والأثر الإسلامي يقول "ما خاب من أستشار بل إذا استشارك أحد ولم تحسن له المشورة كنت خائنا للأمانة كما قرر الشرع في الإسلام وهناك سورة كاملة من القرآن الكريم تسمي الشورى وجاءت فيها ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[2]، وهذه الآيات تجعل الشورى من صفات المؤمنين وتقرنها بالصلاة وترك الآثام وغيرهما من صفات الإيمان، وفي إطار المدح فإن الله تعالى ذكر في القرآن في إطار سرده لقصة بلقيس ملكة سبأ أنها قالت﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [3].

١- البقرة آية ٢٣٣ .

٢- الشورة آية ٣٧ - ٣٩ .

٣- النمل آية ٣٢ .

وفي الحديث الشريف:

يقول الرسول لكل من أبي بكر وعمر «لو اجتمعتا في شورة ما خالفتكما» رواه ابن حنبل، وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال "ما رأيت أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله رواه الترمذي

وقول الرسول «إذا استشار أحدكم المسلم فأشار علية بغير رشد فقد خانه». رواه البخاري وأبن حنبل

وفي الأحداث التي حدثت في حياه الرسول الكثير الذي يؤكد على وجوب الشورى فقبل معركة بدر عند الرسول مجلسا استشاريا لتبادل الرأي مع المسلمين، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ثم قال عمر بن الخطاب فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمر فقال "يا رسول الله، إمض لما أراك الله، فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسي "فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال رسول الله خيرا ودعا له، ولم تقتصر استشارة الرسول في هذا الأمر علي هؤلاء الصحابة الذين هم من المهاجرين، بل أحب أن يستشر الأنصار أيضا فقال "أشيروا على أيها الناس"وكان يقصد الأنصار وفطن إلى ذلك قائد الأنصار وحامل لوائهم سعد بن معاذ، فقال والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال أجل. قال "فقد أمنا بك فصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقي بنا

عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقربه عينك فسر بنا على بركة الله.

فسر رسول الله بقول سعد، ثم قال « **سيروا وابشروا،فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله فكأني أري مصارع القوم** »[1].

وسار الجيش المسلم إلى بدر، وهناك نزل في مكان معين فاعترض على ذلك الصحابي الحباب بن المنذر، وسأل الرسول هل هذا المنزل بأمر من الله أم أنه الرأي والمشورة، فافهمه الرسول أنه الرأي والمشورة، فأشار الحباب بن المنذر أن ينزل الجيش المسلم على البئر فيمنع الكفار من الماء ويستفيد به وحده، فقبل الرسول تلك المشورة وأمر بتنفيذها.[2].

وهكذا فإن الشورى كانت سلوكا نبويا منهجيا، في كل الحالات بل في حالات الحرب والطوارئ.

وفي غزوة أحد، تم عقد مجلس استشاري لتبادل الرأي بين المسلمين وكان من رأي الرسول إلا يخرج المسلمون من المدينة وأن يتحصنوا بها، وأشار آخرون بالخروج من المدينة ألحوا في ذلك، وتنازل الرسول عن رأيه واستجاب لمشورة هؤلاء،[3]، ورغم أن رأيه كان الصحيح .

ولم يكن أمر الشورى بالنسبة للرسول قاصرا على أمور السياسية والحرب فقط، بل كان يستشر في شئونه الأسرية أيضا، فقبل أن ينزل الوحي

١- صفي الرحمن المبار كفوري – الرحيق المختوم – دار النشر والتوزيع الإسلامية القاهرة – ط ٢٠٠٥

٢- ابن عبد البر – "الدرر في اختصار المغازي والسير – طبعة القاهرة ١٩٦٦

٣ – صفي الرحمن المبار كفوري – مرجع سبق ذكره

ببراءة السيدة عائشة من حديث الإفك دعا الرسول كل من على بن أبي طالب، وأسامة بن زيد يستشيرهما في فراق أهله.

وفي طريقة التنبيه إلى وقت الصلاة، أستشار الرسول المسلمين في ذلك فأشار البعض إلى استخدام البوق وآخرون باستخدام الناقوس، فأشار عليه عبد الله بن زيد "من الأنصار"، وعمر بن الخطاب "من المهاجرين" بالأذان المعروف الآن فأمر رسول الله بلالاً به فأذن ، رواه ابن ماجة.

وفي دولة الخلفاء الراشدين كان الأمر على نفس الطريقة، فكل خليفة من الخلفاء الراشدين كانت له مجموعة من كبار الصحابة يستشرهم ولا يقطع أمرا دونهم، سواء في أمور الحرب والسياسية، أو أمور الاجتهاد في الفقه أو القضايا والمنازعات أو حتى في شئون الصحة والمرض، فالخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه استشار في أمور كثيرة منها المواريث، والقضاء، وكان دائم السؤال عن الأمور التي تواجهه، فإذا وجد إجابة في كتاب الله أو سنة النبي أخذ بها، وإن لم يجد خرج فسأل المسلمين، إما عمر بن الخطاب فقد استشار في أمور منها تعزير شارب الخمر، والأخذ بنظام الدواوين. وتطوير جهاز الدولة وإنشاء جيش نظامي، وكذلك في الموقف من الوباء الذي وقع في الشام.

ومن مأثورات عمر بن الخطاب في هذا الصدد "من بايع أميرا عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له، ولا بيعة للذي بايعه" رواه البخاري وأبن حنبل.

وكان الصحابة أيضا يفعلون ذلك يروي عياض الأشعري فيقول "شهدت اليرموك، وعلينا خمسة أمراء، فأصبنا أموالا فتشاوروا " رواه ابن حنبل.

في نقد الديمقراطية

الحضارة الغربية حضارة إغريقية وثنية ذات مسحة أو قشرة مسيحية مزيفة، وهي حضارة تقوم على القهر والعنف والنهب والعنصرية وبديهي أنها تختلف عن الحضارة الإسلامية التي تقوم على التوحيد والعدالة والحرية وعدم العنصرية [1] ..... ومن ثم فإن كل ما تفرزه الحضارة الغربية من إفرازات أو نظم سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية سوف يحمل بالضرورة السمات الثابتة لتلك الحضارة وإذا نظرنا إلى إفرازات الحضارة الغربية نجد أنها كلها عنصرية بلا استثناء مثل الفاشية والنازية والشيوعية والاشتراكية والصهيونية والرأسمالية والديمقراطية والليبرالية ..... الخ [2] وكذا فإن كل تلك المنظومات أو الحكومات والدول التي قامت على أساسها سواء كانت ملكية أو جمهورية، يسارية أو يمينية كلها مارست الاستعمار والنهب والمذابح ..... بل إن ما كان منها يساريا كان أشد قسوة، فأكبر المذابح التي مارستها فرنسا في الجزائر تمت على يد حكومات الاشتراكية.

ومن المفيد هنا أن نقرر حقيقة أخرى، أنه ربما تكون هناك مناطق تتشابه فيها بعض المنظومات الغربية مع المنظومات الإسلامية ولكن هذا لا يعني أن هناك تطابقا أو هناك صلة عضوية بين الطرفين[3] فهي على غرار

١- المواجهة بين الإسلام والغرب. د/ محمد مورو – الدار المصرية للنشر والتوزيع – القاهرة ١٩٩٣م.

٢ – ليس هنا محل تقصي مظاهر العنصرية في تلك الإفرازات في هذا البحث، وذلك موضوع طويل يمكن تتبعه في مصادر أخرى للمؤلف نفسه أو لغيره.

٣- الإسلام بين الشرق والغرب – علي عزت بيجوفيتش – ترجمة محمد يوسف عدس – مؤسسة بافاريا – ١٩٩٧م.

تقاطع دائرتين في قوس ولكن لكل دائرة مركز مختلف وقطر مختلف ومن ثم محيط ومساحة مختلفين ، وهكذا فإن هؤلاء الذين يتحدثون عما يسمي باشتراكية الإسلام أو الديمقراطية الإسلام[1] أو غيرهما يقعون في خطأ منهجي كبير، ونحن نرفض هذا بالطبع، من باب أنه خطأ علمي، ومن باب ضرورة تحرير المصطلح وعدم الوقوع في إرهاب هذا المصطلح، ولأننا ندرك أن هناك خلاف جوهري في المناهج والغايات، وفي الوسائل والأهداف بين المنظومة الإسلامية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها من المنظومات.

من البديهي الآن. وبعد خبرات طويلة تراكمت سياسياً وثقافياً أن أحدا في الشرق أو الغرب لم يعد يتحدث عن إمكانية وجود حرية في المنظومة الفاشية أو النازية، أو الشيوعية، رغم وجود تنظير فلسفي حول مزاعم وجود تلك الحرية في تلك المشروعات، ولكن النقد النظري والتجربة الحية أطاحت بذلك الآن... لم يعد هناك إذن ادعاء وجود حرية من أي نوع كان إلا في الديمقراطية والليبرالية، ومن ناحيتنا وناحية كل مفكر منصف فهي موجودة في النظام الإسلامي أيضا ، على أننا أمام محاولة لحسم المعركة قبل أن تبدأ بنوع من المغالطة، فالبعض يحاول أن يتحدث عن الحضارة الغربية وكأنها هي وحدها الحضارة، ومن ثم فأما أن تقبل قيم الحضارة الغربية وإما فأنت معادي للحضارة والتقدم وبربري وأحيانا إرهابي، وكذا فإن الحديث نفسه

---

١ - الأستاذ/ محمود عباس العقاد - وهو مفكر كبير جدًا ومدافع عن الإسلام دفاعًا مجيدًا، وقع في هـذا الخطأ واستخدم مصطلح ديمقراطية الإسلام في أكثر من كتاب، بل أن له كتابًا بعنوان "الديمقراطيـة فـي الإسلام" صدر في طبعات كثيرة أخرها عن دار نهضة مصر - القاهرة ٢٠٠٥م.

يدور حول أن الديمقراطية تعني الحرية،وهذا غير صحيح بالمرة، نحن نؤمن أن الحضارة الغربية حضارة فاسدة وقيمها فاسدة ولا يمنع هذا أن يكون فيها بعض الإيجابيات ولا يمنع أن تتشابه في بعض دعواتها مع النظام الإسلامي ولكن هذا على طريقة اتفاق شجرتين في لون الورق ولكن البذور مختلفة والثمار مختلفة وأشياء أخرى كثيرة مختلفة، ربما كالاختلاف بين شجرتي الزقوم والزيتون. وكذلك لا يمنع وجود أفراد وجماعات داخل المجتمع الغربي ربما تكون أكثرية أو أقلية تتصف بالاتصاف والعدل. ولكن هذا شذوذا يؤكد القاعدة، وهم أنفسهم يرفضون بشكل ما المنظومة الغربية والمهم أنهم ليسوا أصحاب القرار، الغربي، أو ما يسمي الظاهرة في مجراها الرئيسي كلها تقود إلى العنصرية القهر والعنف، فدعم الصهيونية مثلا مستمر منذ قرن على الأقل بعد وقبل إنشاء إسرائيل برغم ممارسات علنية يومية فيها قمع هائل للإنسان الفلسطيني والعربي، وكذا العدوان على العراق وأفغانستان...الخ.

استخدام مصطلح الديمقراطية الإسلامية خطأ علمي وسياسي أيضا وهو نوع من الاستلاب الحضاري، ونحن نري أنه لا حرية إلا في الإسلام لأنه فطرة الله الناس عليها وبديهي أن الله يصنع للإنسان ما يصلحه لأنه الذي خلقه ويعلمه حقيقته وما يصلحه وما يفسده "ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير"وأن الديمقراطية لم ولن تحقق الحرية، ربما تكون أفضل أو أسوأ من الشيوعية أو الفاشية أو النازية ولكنها في النهاية تظل إفرازا غريبا يحمل نفس مساوئ الأرضية الحضارية التي أفرزتها، الحضارة الغربية في صورتها الديمقراطية أو تحت حكومات ديمقراطية مارست الاستعمار، وهو نوع من قهر حرية الآخرين، ومن ثم فهي ديمقراطية مزيفة، وهي نفسها التي مارست

نهب المستعمرات ومن ثم فهي ديمقراطية ناهبه، وهي نفسها التي أنشأت إسرائيل وسلحتها ومولتها وإسرائيل تمارس الديكتاتورية والقهر على مدار اليوم والساعة منذ أكثر من ستين عاما ومن ثم فهي ديمقراطية عنصرية وأصولية، لأنها تدعم دولة يقوم قانون الجنسية فيها على أساس الدين اليهودي، فكل يهودي متي وطأت قدمه أرض إسرائيل فهو يحصل على الجنسية فورا، وهي ديمقراطية مارست إبادة الهنود الحمر في الأمريكتين، والأبورجيين في أستراليا "بعشرات الملايين"فهي ديمقراطية عنصرية بامتياز وهي فوق هذا وذاك مستمرة في تلك الأمور منذ أكثر من قرنين على الأقل ولم ولن تكف عن ذلك لأنها سمة أصلية في تلك الحضارة، آخرها "العدوان على العراق وأفغانستان".

الديمقراطية مشتقة من كلمة يونانية [1]، ومن ثم فإن تعريبها صعب شديد الصعوبة، لأنها تعبر عن سياق اجتماعي وحضارة معينة مختلفة عن السياق الحضاري العربي، وفي الحقيقة فإن تلك الصعوبة تظهر في شيوع مجموعة من الأخطاء العلمية، فالذي يقومون بتطبيق قواعد علم الاجتماع الغربي الذي ظهر في سياق حضاري وثقافي واجتماعي معين على ظواهر عربية وإسلامية نشأت في سياق اجتماعي آخر يقعون في أخطار فادحة، فالأصولية مثلا، والدين والدولة وغيرها من المصطلحات تعني هناك غير ما تعني في المشروع الإسلامي تماما، ويجب التعامل مع أي ظاهرة بقواعد علم الاجتماع الذي ينبع من نفس الأرضية الحضارية، ولا يعني هذا أن علم الاجتماع العربي أو الإسلامي أفضل من علم الاجتماع الغربي، ولكن من

---

١ -هي كلمة ديموس.

العلمية والموضوعية استخدام كل علم فيما يصلح له من ظواهر ليقوم بتفسيرها وهذا معروف في العلوم الطبيعية ذاتها، فقانون نيوتن مثلا يصلح لتفسير الحركة في السرعات العادية، إما السرعات التي تصل إلى سرعة الضوء مثلا فلا يصلح معها قوانين نيوتن، بل قانون النسبية لأينشتين مثلا ...... المهم أن الديمقراطية نظام يوناني أخذته أوروبا في إطار بعث الثقافة الإغريقية والرومانية في بداية عصر النهضة، نظام الديمقراطية اليوناني نشأ في القرن الثامن قبل الميلاد على يد ليكرغ، وكان يقوم على انتخاب عدد من الزعماء عن طريق وضع الناس في مكان معين، ويوضع عدد من المراقبين في مكان قريب بحيث يسمعون الصوت ولا يرون المنظر، ثم يتقدم المرشحون واحدا واحدا ، فكلما تقدم واحد منهم سجل المراقبون نصيبه من جلبة الأصوات الخارجية، ولعل هذا نفسه ما تطور في نظام التصويت فيما بعد ... ونلاحظ هنا أن الذين كان يسمح لهم بالتصويت هم الناس الذين يملكون سلاحا، ثم بعد ذلك من كان له نصاب مالي معين، مع حرمان الآخرين من التصويت، وفي روما القديمة كان يتم التصويت بواسطة الوجهاء فقط مالا أو سلاحا أما السكان غير الرومان عموما فلا حقوق سياسية لهم، أي أنها ديمقراطية عنصرية في أصلها، وحتى بعد أن أخذت أوروبا هذا النظام فإن الجوهر لم يتغير كثيرا، فالعمال في إنجلترا لم يأخذوا حق الانتخاب ألا في سنة ١٨٦٧، وذلك لأنهم أصبحوا قوة لازمة للدولة في المصانع، ولم يحصل عمال الريف على هذا الحق ألا بعد ١٨ سنة من هذا التاريخ، والمرأة الإنجليزية لم تحصل على حق التصويت ألا بعد الحرب

العالمية الأولي لأنها اشتغلت بأعمال المصانع أثناء غياب الجند في ميادين القتال.

ويلاحظ الأستاذ العقاد أن الحكومة الديمقراطية نشأت بين الاسبرطيين أصحاب النظم والإجراءات الإدارية ولم تنشأ بين الأثينيين أصحاب الفلسفات والبحوث النظرية، ويعلق الأستاذ عباس محمود العقاد على ذلك بقوله "فمن الواضح أن الديمقراطية قديمها وحديثها لم تقم على الحق الإنساني المعترف به لكل إنسان وأنها كانت إلى الضرورة العملية أقرب منها إلى المبادئ الفكرية والأصول الخلقية.

وهكذا فإن هناك فارق جوهري بين الحرية في المنظومة الإسلامية، القائمة على الحق الذي أعطاه الله للإنسان، وعلى وجوب ذلك في كل الظروف وليس استجابة لظروف وتوازنات.

الحرية في الإسلام غير الحرية في الديمقراطية، فالحرية بغير إيمان هي حركة آلية حيوانية أقرب إلى الفوضي والهياج فيها إلى الجهد الصالح ولأن الحرية في الديمقراطية لا تستند إلى قواعد أخلاقية إنسانية أو ذات طابع إيماني ديني، فإنها لا تحرم مثلا لعب القمار أو شرب الخمر أو الزنا أو الشذوذ، بل تعتبر هذه حريات شخصية وبديهي أن فيها من الفساد والإفساد وضياع الوقت والجهد، وغيبوبة العقل ماله أثر سلبي على المجتمع واستقراره ورخائه، ربما تؤدي إلى انهياره في النهاية.

يقوم النظام الديمقراطي، كما يقدم له فلاسفته على الإيمان بالفرد أيمانا لا حد له، وأنه إذا تركت له الحرية الكاملة، فأنه ينحو بصورة طبيعية إلى مصلحة المجتمع .... وبديهي أن هذا كلام نظري غير صحيح وهو أقرب إلى

الميتافيزيقا الذي يدعي فلاسفة النظام ذاته أنهم يرفضونها، أنه ينطلق من فكرة مسبقة هي فكرة أن الإنسان سيتصرف بصورة صحيحة دائما، وأنه مجبول على ذلك، وبديهي أن التجارب البشرية لا تقول بهذا، فالإنسان فيه خير وشر، وهو يختار الخير والشر، وبديهي أن البعض يختار الخير والآخر يختار الشر، والفرد نفسه لا يكون خيرا بالكامل أو شريرا بالكامل

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ ﴾[1] .

وبديهي أيضا أن وضع عقوبات على السلوك ليس وحدة كافيا لمنع تجاوز الإنسان، والذي يحدث عادة أن الأفراد لا يتصرفون بطريقة صحيحة، ومن ثم فإن المحصلة حدوث تفاوت طبقي رهيب، بل واستغلال الأغنياء أموالهم للاستبداد بالفقراء، والأقوياء بالضعفاء، ويصبح المجتمع جحيما كما حدث في التجربة الليبرالية الغربية، بل هذه المجتمعات ذاتها تذهب لتنهب الآخرين "الاستعمار" والمحصلة ضياع الحرية الحقيقية على مستوي الأفراد وعلى مستوى الدول بعضها ببعض بل القارات بعضها ببعض، وقد لجأت الكثير من تلك الدول إلي وضع ضوابط كثيرة ألغت بها مفهوم الحرية المطلقة للفرد، وأعطت للحكومات الكثير من السلطات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومن ثم نسفت الأساس النظري للديمقراطية والليبرالية ..... وبديهي أن نظام الحرية في الإسلام ينطلق من أنها حق أعطاه الله للإنسان، وأن هذه الحرية لا تحقق بإطلاق حرية الفرد وفق ضوابط سياسية وأخلاقية

١- الشمس آية ٧ – ١٠ .

معينة ومن ثن فإن التجربة الإنسانية أثبتت حتى الآن أن المفهـوم النظـري والتطبيقي للحرية في الإسلام هي الوحيدة الصالحة حتى الآن.

النظام الليبرالي إذن يقوم على الحريات الأربع، وهي الحرية السياسية، والحرية الاقتصادية، والحرية الفكرية، والحرية الشخصية، وهـذه الحريـات ثبت في الواقع التطبيقي الأوروبي ذاته أنها مجرد أوهام، فالحرية السياسية يتم مصادرتها على طريق الأعلام والتوجيه والضغط على النـاخبين، وشـراء الأصوات والخداع ، وفي المحصلة فإن المجمع الصناعي العسكري في الدول الديمقراطية هو الذي يوجه السياسية ويحقق ما يريد في النهاية من فوز هـذا أو ذاك من الأفراد أو الأحزاب في الانتخابـات، ويعتـرف كبـار منظـري العلمانية والليبرالية والمؤمنين بالحضارة الغربية بذلك، فالدكتور فؤاد زكريـا يقول في كتابة الصحوة الإسلامية في ميزان العقل "إن النظـام الـديمقراطي مبني أساساً على قيم فردية على الرغم من المظهر البراق الذي يتخـذه هـذا النظام حين يؤكد أنه المدافع عن الحرية الفردية، وحقوق التعبير والكلام إلى آخر هذه الحريات الليبرالية المعروفة التي يتخذها الموافقون علي هذا النظام محورا لدعايتهم، وعلى الرغم من هذا كله فإن الحرية التي يدافع عنها هـذا النظام هي في واقع الأمر حرية استغلال للضعيف، وكل ما عدا ذلـك مـن حريات تظل ذات طابع شكلي"[١]

والحرية الاقتصادية تؤدي في النهاية إلى وجود تفاوت طبقـي رهيـب وتؤدي إلى شقاء الفقراء وزيادة اكتناز الثروة ،وأن ذلـك يسـتمر بمتواليـة هندسية، والمحصلة النهائية هو أن يصبح نسبة قليلة من سكان العالم في رخاء

١ – الصحوة الإسلامية في ميزان العقل – د/ فؤاد زكريا – دار الثقافة الجديدة – القاهرة ١٩٩٠م.

۲۰% يحتكرون ۸۰% من الثروة في حين أن هناك آلاف الملايين من البشر تحت خط الفقر، وهذه النسبة مرشحة للأتساع طبعـــا، بـــل وحتـــى داخـــل مجتمعات ال۲۰% تلك هناك نسبة ۱۰% تسيطر على ۹۰% مـــن الثـــروة، وباستمرار المتوالية ستصبح الثروة في الدنيا عموما ، وفي كل بلد خصوصا مملوكة ل ۱% والباقي فقراء، وبديهي أن ذلك أدي إلى الاستعمار أولا، ثـــم أدي إلى الشقاء الاجتماعي ثانياً، ويمكن أن يـــؤدي إلـــى انفجـــارات هائلـــة اجتماعية، بل وبيئية لأن الحرية الاقتصادية والتنافس تؤدي إلـــى اســـتنزاف البيئة، والإنتاج علي حساب التوازن البيولوجي والمناخي ومن ثـــم حـــدوث كوارث من التلوث وغيرها والحرية الشخصية تؤدي إلى انتشـــار الـــدعارة والشذوذ والخمر والميسر، وكلها أمور تقود إلى تفكك المجتمعات وهكذا فـــإن الديمقراطية فاسدة في أصلها النظري، وفاسدة في تطبيقاتها الواقعية على حد سواء.

العولمة – الليبرالية الجديدة:

بعد سقوط الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية، ظهرت أفكار مـــن أمثال نهاية التاريخ، والانتصار النهائي للديمقراطية والرأسمالية، وبدأ نشـــر فكرة تقول أن النظام الصحيح، وأن الحضارة هي الديمقراطية والرأســـمالية، وأنه يجب عدم الاعتراف بالحدود القومية والوطنيـــة وإلغـــاء كـــل القيـــود الجمركية، واعتبار العالم قرية صغيرة وأن يصبح الإنتاج ذو طابع عـــالمي، وبعيدا عن الشعارات فإن المطلوب هو تحويل العالم إلى حلبة مصارعة بـــين قزم اقتصادي وعسكري وعملاق اقتصادي وعسكري وأن النتيجة معروفـــة سلفًا وهي جعل النهب والظلم والاستعمار أمرًا مشروعًا ومعترفًا به عالميًا.

والغريب هنا أن الدعوة إلى حرية المرور والتجارة وإلغاء الحواجز الجمركية واعتبار العالم قرية صغيرة اقتصرت على حرية رأسمال والبضائع فقط، في حين أن المفروض طالما أن العالم أصبح واحد ولا داعي للحديث عن السيادة الوطنية أن يفتح الباب أمام مرور الإنسان من هذا البلد إلى ذاك، ولكن الذي حدث مزيد من القيود على هجرة الإنسان وتنقله، بل ورصد ميزانيات وعمل شرطة وجيوش لمنع ما يسمى بالهجرة غير الشرعية، وكأن الإنسان في هذا النظام العالمي الجديد أقل قيمة من السلع المسموح بمرورها دون قيد أو شرط.

تزامن مع ذلك ظهور ما يسمى في بلادنا بالليبراليين الجدد [1] وهم من بقايا الماركسيين السابقين، أو المطبعين مع الكيان الصهيوني، وهم لا علاقة موضوعية بينهم وبين الليبرالية، فهم يفتقدون لأبسط قواعد الليبرالية وهي الاعتراف بالأخر فهم يرون حرمان الاتجاه الإسلامي من حق العمل العلني والقانوني، ويدعون إلى إلغاء فكرة السيادة الوطنية – مع أن الليبرالية ارتبطت في أوروبا بفكرة السيادة الوطنية وظهور الدول القومية – ويدعون إلى نبذ فكرة الانتماء الديني والقومي والوطني ومن ثم التعايش مع الإسرائيليين والتعامل معهم، وهؤلاء مجرد طابور خامس تستخدمه الولايات المتحدة للضغط على الحكومات وعلى كل حال فإن التبشير بالديمقراطية المزعومة الذي قامت به الولايات المتحدة – رغم إدراكنا منذ البداية أنه نوع من الكذب لا أكثر ولا أقل – إلا أن الولايات المتحدة ذاتها اتجهت في النهاية إلى تسوية الأمور مع أنظمة الحكم التي كانت تطالبها بالديمقراطية، وباعت من ثم ما يسمى بالليبراليين الجدد في سوق السياسة بثمن بخس.

١- مجلة البيان – العدد ٢١٩ – ذو القعدة ١٤٢٦هـ – ديسمبر ٢٠٠٥م.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- تفسير الطبري " جامع البيان "أبي جعفر ، محمد بن جرير الطبري ٢٢٤ – ٣١٠ هـ – دار الفكر – بيروت .
- تفسير القرطبي " الجامع لأحكام القرآن " أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي توفى ٦٧١ هـ – دار الكتب المصرية .
- صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، وفى ٢٥٦ هـ – طبعة دار الشعب – القاهرة ١٩٥٥ م.
- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري ٢٠٦ – ٢٦١ هـ – طبعة دار الشعب – القاهرة ١٩٥٥ م.
- صفي الدين المباركفوري الرحيق المختوم – دار الريان – القاهرة ١٩٨٥ م.
- ابن عبد البر الدرر في اختصار المغازي والسير – طبعة القاهرة ١٩٦٦ م.
- ابن الأثير أسد الغابة في معرفة الصحابة – طبعة دار الشعب – القاهرة ١٩٦٨ م .
- الماوردي الأحكام السلطانية – مطبعة السعادة ١٩٠٩ م – مصر
- د / توفيق الشاوي فقه الشورى والاستشارة – دار الوفاء – مصر – ١٩٩٢ م.
- د / صبحي عبده سعيد السلطة السياسية في المجتمع الإسلامي – طبعة ١٩٩٦ م – الكتاب الجامعي – جامعة القاهرة – مصر

- عباس محمود العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه – نهضة مصر – القاهرة – طبعة ١٩٨٩ م .
- عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية – دار نهضة مصر – القاهرة – طبعة ٢٠٠٠ م.
- عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن الكريم – نهضة مصر – القاهرة – طبعة ٢٠٠٣ م .
- عباس محمود العقاد، الديمقراطية في الإسلام – نهضة مصر – القاهرة – طبعة ٢٠٠٥ م.
- د / عبد القادر عودة الإسلام وأوضاعنا القانونية – دار المختار الإسلامي – القاهرة – ١٩٧٧ م.
- د / عماد الدين خليل، القيادة والسلطة في التاريخ الإسلامي – مكتبة النور – القاهرة –طبعة ١٩٨٥ م.
- د / محمد أبو زهرة، المذاهب الإسلامية – دار الفكر العربي –القاهرة –١٩٨٠
- الشيخ محمد الخضر حسين – الحرية في الإسلام – دار الاعتصام – القاهرة – ١٩٨٢ م.
- الشيخ محمد الغزالي، الإسلام والأوضاع الاقتصادية – نهضة مصر – القاهرة – طبعة ٢٠٠٢ م
- الشيخ محمد الغزالي، الإسلام والمناهج الاشتراكية – نهضة مصر – القاهرة – طبعة ١٩٧٧ م.

- الشيخ محمد الغزالي، الإسلام والاستبداد السياسي – نهضة مصر – القاهرة – طبعة ٢٠٠٤ م.
- د / محمد ضياء الدين الريس، النظرية السياسية الإسلامية – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – طبعة ١٩٦٠ م.
- د / محمد عمارة، الإسلام وحقوق الإنسان – دار الشروق – القاهرة – طبعة ١٩٨٩ م.

الفهـرس